رئيس التحرير **مفيد الجزائري**
28 آب/ أغسطس 2023 28 August
No. 126
الطريق الثقافي
altareek althakafi

12

الرسام طاهر حبيب
معرض ماديَّة الأحلام الصاخبة

4

دراسات سردية

بوصفها مجالا مفتوحًا للجدل

الزمن ومغامرة الكتابة الأسئلة والتأثيرات

كتب علي حسن الفواز

تظلُّ فكرة الزمن مجالا مفتوحًا للجدل العام، وللخلاف في زوايا النظر إليها، فهي تعني مساءلة لموضوعات الديمومة، والتواصل، مثلما تعني توصيفا للوجود الانساني، في تحولاته وفي امتداده، وفي اسئلته الانطولوجية والفلسفية، بوصفها اسئلة تخص معنى ذلك الوجود في اطلاقيته وفي نسبيته وفي تواتره، وفي تمظهرات سيرورته الانسانية وعلاقاتها بالتاريخ والاسطورة والدين والسحر والمثيولوجيا والموت.

حمّى الاحتكار
الرأسمالية الاستخراجية والصراع على الليثيوم
2

السلطة والفن
الإصطدام بحواجز الثقافة الهجينة
8

سينما مختلفة
فيلم "طفيلي" الطبقية والاختلاف والتأثيرات الرأسمالية
10

بلد الفلفل الحلو
اختلاط مفاهيم شرف العائلة والكبرياء والعادات والتقاليد
11

خوليو كورتازار
اليساري اللاتيني في المختبر الكوبي
20

زهير الجزائري
الكتابة محاولة لترميم ذاكرتي واستعادة المكان
14

الجريمة الأمريكية المنسية
كيف دُفن 60 ألف جندي عراقي وهم أحياء؟
18

مُدن أدبية.. بغداد وإسطنبول
مدينة السلام مدينة الدّم العيش في الروايات
20

ثلاثة وثلاثون عامًا على رحيله
غائب طعمة فرمان.. الروح العراقية بالكلمات
6

قضية هايماركت
اللحظة الخالدة والتاريخ
24

أحمد الباقري وتعاليمه
الانحياز إلى الفكرة واستذكار المكان
16

الآثار العراقية تعرض لوحًا منقوشا بنص مسماري

الطريق الثقافي ـ خاص

عرضت دائرة الآثار والتراث العراقية لوحا حجريا عمره 2800 عام يضم نقوشا مسمارية، بعد نجاحها في استعادته من إيطاليا بعد قرابة أربعة عقود على إخراجه من العراق إلى هناك.

والقطعة الأثرية قد نقشت بنص كامل بالكتابة المسمارية، وهو نظام الكتابة على الصلصال بأبجدية بابلية قديمة.

ويحمل اللوح شارة الملك الآشوري شلمنصر الثالث الذي حكم للفترة من 858 إلى 823 قبل الميلاد. وتقع آثار مملكته قرب مدينة الموصل، بحسب مصادر دائرة الآثار العراقية.

وكانت السلطات الإيطالية قد سلمت هذا اللوح الأثري إلى الرئيس العراقي عبد اللطيف رشيد، أثناء زيارته لمدينة بولونيا.

وكان الرئيس العراقي قد أشاد بالتعاون الذي أبدته إيطاليا وقال إنه سيعمل على استعادة جميع القطع الأثرية المتعلقة بالتاريخ العراقي من الخارج.

فيسبوك يحظر بيع آثار تاريخية من العراق وسوريا

الطريق الثقافي ـ وكالات

حظرت شركة فيسبوك بيع القطع الأثرية التاريخية وتداول إعلاناتها عبر منصاتها للتواصل الاجتماعي.

وجاء القرار بعد حملة دشنها باحثون أكاديميون وتحقيق استقصائي أجرته مؤسسة بي بي سي البريطانية عن كيفية بيع القطع الأثرية المنهوبة من العراق وسوريا عبر الموقع.

ورحب الخبراء وامللختصون الآثاريون بهذه الخطوة، لكنّهم قالوا إن موقع فيسبوك يحتاج لإحداث تغيير حقيقي من خلال الاستثمار في فرق من الخبراء لتحديد وإزالة الشبكات التي تتاجر في الآثار.

وأكدت شركة فيسبوك أنها قررت حظر جميع أنواع التّجارة امتلعقلة بالقطع الأثرية واللُّقى القديمة على منصاتها كافة.

وانعكست هذه التغييرات في مجموعة جديدة من المعايير الخاصة بفيسبوك نشرت مؤخرًا، تتعلق بأخلاقيات التّجارة والحفاظ على الآثار والممتلكات الثقافية ومحاربة تهريبها من بلدانها الأصلية.

الرأسمالية الإستخراجية

حمّى الاحتكار واستغلال الليثيوم في بوليفيا

خوانا رونا
ترجمة: الطريق الثقافي

وقعت الحكومة البوليفية مؤخرًا عقودا ضخمة مع شركات راسمالية ـ إستغلالية بقيمة 2.8 مليار دولار، للإستخراج الصناعي لمادّة الليثيوم، الأمر الذي أثار قلق الفلاحين ومجتمعات السكان الأصلية، وأصحاب المسطحات الملحية والأراضي الزراعية، بسبب التلوث البيئي. وقد رفعت تلك الفئات شعار "لا استخراجية رأسمالية ولا ـ طبيعية ـ رجعية. الحاجة الملحة لخطة عامل وفلاح أصلية وشعبية لتصنيع الليثيوم من أجل انتقال حقيقي للطاقة وليس للأعمال الرأسمالية.

بدأ الوضع الاقتصادي في بوليفيا في السنوات الأخيرة يُظهر تباطؤًا ملحوظًا، مقارنة بسنوات الازدهار الاقتصادي التي مرت بها ـ لما يقرب من عقد من الزمان ـ نتيجة للزيادة العالمية في أسعار المعادن والهيدروكربونات. إنّ دورة الغاز، كنمط للتراكم وتوليد الدخل، آخذة في النفاد. يتجلى هذا الوضع في انخفاض إنتاج الهيدروكربونات، وتحديداً الغاز، الذي قلل من مستويات صادرات الغاز إلى الأرجنتين والبرازيل، وبالتالي، فإن الدخل الذي يدره أقل مما كان متصورًا في السنوات السابقة.

يضاف إلى ذلك حقيقة أن استيراد المحروقات للاستهلاك الداخلي زاد بنسبة 31 ٪ عن العام 2022، مما أدى إلى زيادة كبيرة في دعم الوقود الذي تقدمه الدولة والذي يقارب 50 ٪ من سعره الفعلي.

في مواجهة الاقتصاد الذي يظهر تشققات وهشاشة واضحة، تبحث الحكومة البوليفية عن (شركاء) لبدء استغلال الليثيوم وتصنيعه. وقد وقعت اتفاقيات مع شركات رأسمالية متنوعة لهذا الغرض، لاستغلال الليثيوم باستثمارات تزيد على 2.8 مليار دولار.

وقال رئيس الحكومة لويس أرس أثناء اجتماع التوقيع: "قمنا بتقييم التقدم المحرز في هذين المشروعين، وإمكانية زيادة الاستثمارات للتقدم بشكل أكثر كفاءة وتحسين الإنتاج حتى العام 2028. نحن حكومة التصنيع. يمثل هذا الاستثمار علامة فارقة في تاريخ الطاقة لبلدنا ويعزز بوليفيا كمعيار في تصنيع الليثيوم، بالإضافة إلى أنه خطوة نحو انتقال الطاقة إلى السيادة"

(صحيفة La Razón ـ 18 تموز/ يوليو 2023)

الجغرافيا السياسية لليثيوم

يولّد استغلال الليثيوم نزاعًا جيوسياسيًا بين الشركات الرأسمالية لصناعة السيارات، مثل تيسلا Tesla (الولايات المتحدة الأمريكية) وتويوتا Toyota (اليابان) والشركات متعددة الجنسيات مثل إرميت Eramet (فرنسا) أو جوليث Geolith (فرنسا) و شاندونغ غولد Shandong Gold، بسبب السيطرة على احتياطيات الليثيوم العالمية الكبيرة الموجودة في دول مثل الأرجنتين وتشيلي وبوليفيا، والتي تمتلك بين 50 ٪ و 85 ٪ من الاحتياطيات العالمية.

لهذا السبب، أصبحت المنطقة "رقعة شطرنج" جيوسياسية، حيث تتجه مصلحة إمبريالية أمريكا الشمالية، من ناحية، إلى الاستحواذ على موارد المنطقة بأكملها، ومن ناحية أخرى، من خلال النزاع الاستراتيجي. مع الصين للهيمنة على المنطقة والسيطرة على موارد هذه البلدان.

عينة من هذا هو ما عبّر عنه الجنرال المسؤول عن القيادة الجنوبية للولايات المتحدة، لورا ريتشاردسون، أثناء اجتماع حلف الأطلسي: "لماذا هذه المنطقة مهمة؟ بكل مواردها الغنية وعناصرها الأرضية النادرة، لديك مثلث الليثيوم الضروري للتكنولوجيا اليوم. 60 ٪ من الليثيوم في العالم موجود في مثلث الليثيوم هذا: الأرجنتين، بوليفيا، تشيلي. كما لدينا 31 ٪ من المياه العذبة في العالم في هذه المنطقة. مع هذا المخزون، لدى الولايات المتحدة الكثير لتفعله، هذه المنطقة مهمة، لأن هذا له علاقة كبيرة بالأمن القومي وعلينا أن نبدأ لعبتنا. لدينا أيضًا أكبر احتياطيات نفطية، بما في ذلك الخام الخفيف. ولدينا أيضًا موارد فنزويلا، من النفط والنحاس والذهب، وهناك أهمية الأمازون كرئتي للعالم".

إن الأمل في الليثيوم الذي يظهر كوسيلة للخروج من الأزمة في بوليفيا، وكذلك في تشيلي والأرجنتين، يستند إلى خطاب مفاده أن تصنيع هذا المعدن سيولد التنمية والتقدم والعمل. ليس هناك ما هو أكثر خطأً من هذا البيان، بل أكثر من ذلك، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حجم الشره الذي تُبديه الشركات الرأسمالية لاستغلال الموارد الطبيعية في المنطقة، بحجة توليد الطاقة النظيفة والتقليل من استخدام الوقود الإحفوري وانبعاثات غازات الاحتباس الحراري. ومع ذلك، بعيدًا عن المراهنة على "تحول الطاقة"، فإن ما تم الكشف عنه هو الحاجة إلى القيام بأعمال تجارية جديدة توفر مستويات عالية من الربحية لكبار الرأسماليين.

لقد كشفت الحرب في أوكرانيا بوضوح إلى أي مدى نحن بعيدون عن الحديث كثيراً عن "التحول إلى الطاقة النظيفة"، لأنه على الرغم من نمو "الطاقات المتجددة"، فإنّه لم يكشف فقط عن هيمنة الوقود الأحفوري في العام 2022، ولكن أيضًا عن الاعتماد الهائل على دول الناتو. وهذا ما يحفز اليوم الحاجة الملحة إلى التحرك بشكل أسرع لتصنيع الليثيوم، والبطاريات التي ستباع جيدًا لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. إنّه الجشع الذي تُصوّر به القوى الرأسمالية نفسها على أنها "رأسمالية خضراء"، لأن ما تريده ليس أكثر من توليد أرباح كبيرة على حساب استغلال العمال والأراضي، ونهب المناطق التي فيها هذا الخام.

سالار دي أويوني Salar de Uyuni البلويفية. أعلى صحراء ملحية في العالم، تحتوي في باطنها كميات هائلة من احتياطيات الليثيوم على كوكب الأرض.

حسب وكالة الطاقة الدولية IEA فأنّ استخراج الليثيوم والتحول إلى السيارات الكهربائية في العام 2040. لن يقلل انبعاث غازات الاحتباس الحراري بأكثر من 1 ٪ فقط

إنّ الهدف المفترض لتقليل انبعاث غازات الاحتباس الحراري وفق هذه الرؤية يفقد جدواه عندما نأخذ في الاعتبار البيانات التي قدمتها وكالة الطاقة الدولية IEA بالتقرير الخاص عن "ملف حرب الليثيوم في الأرجنتين"، والذي وفقًا للتوقعات، سينقل إنتاج السيارات الكهربائية من 2 مليون إلى 280 مليونًا في العام 2040. ومع ذلك، فإن تقدير الحد من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري سيكون فقط 1 ٪، على الرغم من أن الليثيوم يمكن أن يلعب دورًا في الانتقال إلى الطاقة النظيفة، ففي حالة تشيلي، على سبيل المثال، يتضمن الإعلان الأخير للرئيس غابرييل بوريك، التأكيد على استراتيجية إنشاء شركة الليثيوم الوطنية، بهدف مشاركة الدولة في عملية الإنتاج. دعونا نتذكر أن تشيلي لديها تاريخ طويل في استخراج وإنتاج هذا المعدن، إذ حلت في المركز الثاني بعد أستراليا، حيث بلغ حجم إنتاج الليثيوم حوالي 40 ألف طن متري في العام 2022. وبعيدًا عن مواجهة النهب الذي تمارسه الشركات العابرة للحدود الوطنية، يعتزم بوريك المساومة على فتات مشاركة الدولة من دون التشكيك في الجزء الأكبر من نهب الموارد الطبيعية.

وفيما يتعلق بالأرجنتين، فإن السياسات الاستخراجية ليست بعيدة عن حالة تشيلي، ففي الأسابيع الأخيرة، خاض المعلمون والمجتمعات المحلية نضالات جسيمة ردًا على ما سُمي إصلاح دستور جيراردو مورواليس في مقاطعة خوخوي. ذلك (الإصلاح) الذي يعمق النظام القمعي ويمنع الاحتجاجات. وعلى الرغم من أنه يعترف بوجود المجتمعات الأصلية والشعوب الأصلية مسبقًا، فإنه يقرر أن الدولة مسؤولة عن الاعتراف بشخصيتها القانونية وحيازتها للأراضي، وباختصار، فإن ما تضمنه هذا الـ (إصلاح) هو قانون النهب الرسمي للمشاعات الطبيعية مثل الليثيوم. إن النضال في خوخوي، الذي أظهر رفضًا هائلاً ومقاومة حازمة، يعبر بشكل لا جدال فيه عن شيء مشترك بين شعوب المنطقة. أي العيش في "مقاطعة غنية بالموارد الطبيعية مع عمال فقراء". وهذا يشكل تحديا ومشكلة معقدة.

وعلى الرغم من اختلاف الآليات القانونية والمجتمعية والبيئية والتعاقدية والاستثمارية في بوليفيا، من حيث استغلال الليثيوم عنها في تشيلي والأرجنتين، إلّا أننا يمكننا تسليط الضوء على بعض العناصر المشتركة.

في المقام الأول، كون المنطقة جزءًا مما يسمى بمثلث الليثيوم، يجعل المنطقة ككل محور الخلافات السياسية بين القوى العظمى المتعطشة لهذا المورد الاستراتيجي. هذا الموقف الجيوسياسي الرئيسي يجعل البلدان المعنية هي التضاريس التي ستحدث فيها النزاعات والمواجهات للسيطرة على هذه الموارد.

إن انقلاب تشرين الثاني/ نوفمبر 2019 في بوليفيا هو تعبير عن هذه الخلافات التي ستؤدي إلى تكثيف الصراع الطبقي وعدم استقرار الدولة في هذه المنطقة.

ثانيًا، هناك طبقة عاملة ومجتمعات محلية وفلاحية، تسكن هذه الأراضي وتدافع عن ممتلكاتها المشتركة، ومواردها الطبيعية، كما يتضح من احتجاجات منطقة خوخوي الشعبية العارمة التي تشتعل في هذا الوقت.

خوانا رونا صحفية استقصائية بوليفية وناشطة بيئية ومناضلة من أجل حقوق المجتمعات الأصلية في أمريكا اللاتينية.

معرض فوتوغرافي يجمع الأموال للإيزيديين المضطهدين في العراق

الطريق الثقافي ـ وكالات

بعد تسع سنوات من الإبادة الجماعية، ينظم المخرج والمصور البريطاني ياد دين، بالتعاون مع الفنان الإيزيدي ريناس بابكر معرض صور جديد على الإنترنت مخصص لجمع الأموال والتبرعات للمجتمع الإيزيدي، الذي لا يزال أحد أكثر المجموعات اضطهادًا في العراق. وأنتج دين مجموعة من 12 صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود لكوجو، إحدى أكثر القرى تضرراً في سنجار. كل صورة في السلسلة مصحوبة برواية قدمها داود سالم بشار لوكو، الوصي الإيزيدي على كوجو، والناجي من الإبادة الجماعية. وقال دين: "عندما كنت أنا وريناس في سنجار في شهري مارس وأبريل من هذا العام، لاحظنا أن معظم منازل الناس لا تزال مدمرة، وكذلك المتاجر المحلية. ولم يتغير شيء منذ أن كنت في سنجار في العام 2015.

اليونسكو تمنح جائزة حريّة الصحافة لصحفيات إيرانيات سجينات

الطريق الثقافي ـ وكالات

فازت ثلاث صحفيات إيرانيات مسجونات في إيران بجائزة اليونيسكو لحرية الصحافة وفق ما أعلنت عنه المنظمة الشهر الماضي، وذلك نظير "التزامهن بالحقيقة والمساءلة". والفائزات هن "نيلوفار حميدي" التي نشرت نبأ وفاة "مهسا أميني"، وإلهة محمدي التي كتبت عن جنازتها، ونرجس محمدي، التي عملت لسنوات عديدة كصحفية وهي واحدة من أبرز النشطاء في إيران.

وسُميت جائزة منظمة اليونيسكو لحرية الصحافة باسم "غييرمو كانو"، الصحفي الكولومبي الذي اغتيل أمام مكاتب جريدته "إل إسبكتادور" في العاصمة بوغوتا في 17 ديسمبر/ كانون الأول 1986. وقد منحت اليونسكو الجائزة بالتزامن مع اليوم العالمي لحرية الصحافة الذي يصادف في الثالث من آيار/ مايو من كل عام، وذلك منذ العام 1997.

مشروع "أفق" الثقافي من بيت الحكمة

يعد مشروع "أفق" الثقافي الذي أطلقه بيت الحكمة في القاهرة، أحد المشاريع الفكرية المتطورة التي تعنى بنشر المؤلفات الفكرية والنقدية العربية.

وأطلقت مجموعة بيت الحكمة للثقافة، مشروعها الجديد الذي يهدف إلى إنشاء نافذة جديدة لنشر الأفكار الثقافية والفكرية والنقدية وفق منظور جديد، يسعى إلى خلق مناخ حر وجريء، قادر على العمل على تلك الرؤى التي يمكنها الذهاب إلى أبعد مدى ممكن، مع احترام المنهج والعقل، في الوقت الذي تفتقر فيه خريطة الكتاب العربي إلى أفق جديد يحرك ما سكن فيها، ويفتح أبوابا جديدة للرؤى الفكرية والنقدية تتواءم مع مستجدات العصر. ويدعم المشروع الاتّجاهات الفكرية الجديدة عن طريق نشر مؤلفات أبناء الجيل الثاني من المفكرين والأكاديميين، وإنشاء مكتبة فكرية ثقافية عربية مرتبطة بمصادر المعلومات والأبحاث العالمية إلكترونيًا، في جميع مناحي المعرفة الثقافية والإنسانية.

حدث في مثل هذا اليوم

رحيل الروائي العراقي الكبير غائب طعمة فرمان

في مثل هذا اليوم من العام 1990، توفي الكاتب والروائي العراقي الكبير غائب طعمة فرمان عن عمر ناهز الـ 63 عاماً، وكان فرمان قد كتب جميع رواياته الثماني أثناء سنوات إقامته في العاصمة الروسية موسكو، حيث كان يعمل مترجمًا في دار التقدم. وقد أنهى روايته الأولى «النخلة والجيران»، في العام 1964. وتشكل هذه الرواية مع الروايتين اللاحقتين؛ «خمسة أصوات» (صدرت في العام 1967)، و«المخاض» (صدرت في العام 1973)، ثلاثية مترابطة البطل الحقيقي فيها هو مدينة بغداد نفسها، وسكانها الذين صاغت أزقتها ونهرها وموقعها وتاريخها القديم مزاجهم ولهجتهم؛ قيمهم وقناعاتهم؛ حرفهم وعاداتهم.

وحسب الباحث لؤي عبد الإله، فأن هذه الروايات تتناول ثلاث فترات زمنية ذات تأثير بالغ على ما ترتب عن كل منها؛ «النخلة والجيران»: أواخر الحرب العالمية الثانية واقتراب خروج القوات البريطانية من بغداد والمدن الكبرى. «خمسة أصوات»: عشية إلغاء الانتخابات التشريعية في العام 1953 وفرض الأحكام العرفية؛ «المخاض»: بعد عام ونصف العام على وقوع ثورة 14 تموز/ يوليو.

فريدا كالو وديغو ريفيرا في معرض جديد

الطريق الثقافي ـ خاص

تظهر أعمال كل من فريدا كالو وزوجها ديغو ريفيرا جنبًا إلى جنب في معرض جديد يستكشف المشاعر المشتركة العديدة للزوجين، من الحب إلى الثورة الاجتماعية.

وتركز الأعمال على منزل الفنانين الشهير بـ "البيت الأزرق"، الذي يناقش المضمون الحقيقي للزواج الأسطوري تحت سقفه.

وكان المنزل المبهرج في مكسيكو سيتي، ملاذًا خاصًا للزوجين المبدعين قبل أن يصبح نقطة جذب عامة. وبالنسبة لفريدا، فقد كان المنزل بمثابة مسقط رأسها، واستوديو الفنون الخاص بها، و"الكون الحميم" الذي تتمتع بخصوصيتها فيه. أما بالنسبة لزوجها ديغو فقد كان خلية نحل للخطاب السياسي اليساري، ومتحفه الشخصي للفن الشعبي المكسيكي، وأخيراً المكان الذي طلب أن تعيش فيه ذاكرة فريدا الفنية.

د. عصام صباح إبراهيم

بوصفها مجالًا مفتوحًا للجدل العام..

الزمن ومغامرة الكتابة.. الأسئلة والتأثيرات

علي حسن الفواز

تظلُّ فكرة الزمن مجالا مفتوحا للجدل العام، وللخلاف في زوايا النظر إليها، فهي تعني مساءلة لموضوعات الديمومة، والتواصل، مثلما تعني توصيفا للوجود الانساني، في تحولاته وفي امتداده، وفي اسئلته الانطولوجية والفلسفية، بوصفها اسئلة تخص معنى ذلك الوجود في اطلاقيته وفي نسبيته وفي تواتره، وفي تمظهرات سيرورته الانسانية وعلاقاتها بالتاريخ والاسطورة والدين والسحر والمثيولوجيا والموت.

يظل إنموذج الزمن في السرديات من أكثر المفارقات إثارة للأسئلة

تكشف اسئلة الزمن عن ماهو غامض في فعل هذه السيرورة، وفي التعاطي مع مظاهر تغيّرها، على مستوى علاقتها بفهم هذا الزمن، وعلى مستوى تمثلاتها وتأثيراتها وتأثراتها، فالزمن هو قرين الانسان، إذ لا يوجد أي توصيف للزمن خارج حركة الانسان، بوصف الزمن تمثيلا لهذه الحركة، وتجاوزا على ماهو ثابت في الطبيعة، وعلى صورة الموجود ذاته، فضلا عن أنّ فكرة تثبيت وتأبيد الزمن ووضع قياس محدد له، يتنافى مع طبيعة الانسان الفاعل في السيرورة، حيث يمارس وجوده عبر التمرد على الزمن، وتجاوزه، وأن حركته تظل داخل ترسيمة ذلك التغيير، عبر ادراكه بوصفها حركة تنتظمها المعرفة وامتدادها كما عند الفيلسوف هنري برغسون، أو عبر ما تتمثله في قطائعها المعرفية كما عند باشلار، أو عبر التعرّف على أثرها في العالم التعالقي بين الإنسان والطبيعة، أو بين اللغة والوجود، لأن الزمن الثابت هو الزمن الصنمي الذي يعني السكون والموت.

لكن أنموذج الزمن في السرديات يظل من اكثر المفارقات إثارة للاسئلة، ليس لأنه انموذج وصفي أو تجريدي، بل لأنه عنصر بنائي/ وظائفي يدخل في سياق التمثيلي للمعرفة، وللحكي، وفي سياق من التوترات التي تحتوي على نمطٍ للزمن بوصفه نظاما يقابله التشظي، أو المدة التي يقابلها الانقطاع كما يقول جيرار جينيت.

حمل برنامج جيرار جينيت افكارا ذات بعدٍ منهجي، من خلال تأطير اشتغالات الزمن في السرد، ومن حيث وظائفيته في البناء، وفي التحكم بفاعلية ذلك السرد، عبر الاسترجاع والاستباق، أو تحقيق "التزامن بين زمن القصة وبين زمن السرد" أو عبر انحرافه أو تشظيه، أو عبر التصرّف بالزمن لإيجاد ايهامات تؤكد نسبيته من جانب، لكنها تجعله خاضعا الى لعبة السرد، عبر اصطناع الزمن الوصفي، والزمن النحوي والزمن النفسي، أو عبر استكناه ما يهجس به السارد من حمولات تدخل في تزمين ماهو رمزي، أو تاريخي، أو سياسي، وهي مايعني انفتاحها على توظيفات تؤطر مسار الاحداث كما عند فلاديمير بروب او غريماس، وصولا الى تمثيلها الأكثر منهجية في برنامج جيرار جينيت وفي نظرته لوظائفية الزمن في السرد..

الزمن بوصفه علمًا

كتاب "مقدمة في العلم الزماني وفلسفته" للباحث د. عصام صباح إبراهيم الصادر عن الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق/ بغداد 2023 يقترح قراءة سسيومعرفية للزمن، في حركته، وفي تحولاته، مثلما يقترح مقاربة ذلك الزمن بوصفه علما، والعلم في هذا السياق يعني الدرس، والدرس يعني البحث عن المحمولات، وعن الأفكار التي تستدعي مقاربة الزمن بوصفه موضوعا تتزاوج في مقاربته العلم بالفلسفة، والفهم بالتأويل، فوضعنا الباحث أمام مقاربة تاريخية أسس لها فلاسفة أدركوا خطورة الزمن، لاسيما تلك التي حاولت الخروج من الزمن الطبيعي الى الزمن اللاهوتي، او المقاربات التي درست الزمن اللغوي/ النحوي، أو الزمن السردي، وهي "زمانات" تشتغل على علاقة الزمن بالدال أكثر من المدلول، حيث يتحول الزمن الى بنية تُدرس في الاساطير والمثيولوجيات،

عبر تقصّي التطورات التي نظرت للزمن في سياق تعالقه بالأثر، عبر تمظهره في الاساطير التي جعلت من الزمن جزءا من البطولة، ومن الخرق والتعالي، أو عبر تمظهره في العلوم الاجتماعية التي نظرت للزمن في سياق تحولاته وتغيراته، أو في سياق علاقته بثنائية الجسد والموت، والقوة والضعف، النمو والانطفاء، الثبات والصيرورة، وهي ثنائيات وجدت اشتغالاتها في الدين والفلسفة أكثر من انشغال العلماء بها، لأن العلماء وضعيون، ومعنيون بالظواهر العيانية، لذا ظل الزمن موضوعا غامضا، لم تغب عنه أطروحات القديس اوغسطين في اعترافاته:

"ما الزمن إذن؟ إذا لم يسألنى أحد فأنا أعلم، وإذا رغبت فى أن اشرحه لسائل ما، فأنا لا أعلم "فضلا عن انشغال علماء اللغة والأدب به، فالزمن النحوي، هو زمن الضمائر المتحركة والدالة، مثلما أن الزمن السردي، هو تجاوز وتأويل للزمن الواقعي، إذ تصطنع له السرديات مجالا للتعبير عن حركة الشخصيات في "الزمن الداخلي والزمن الخارجي، وحسب وظائفها في السرد، وحسب الكيفية التي يتم بها تشغيل الزمن أو النظر إليه، فالزمن البروستي غير الزمن عند دستوفسكي، والزمن عند جيمس جويس هو غيره عند همنغواي، والزمن عند فرجينا وولف هو غيره عند اليزابيث الليندي، وغيرها.

الزمن وقصدية العلم

النزعة العلمووية التي اراد الباحث أن يُقعّدها في أطروحاته تكتسب أهميتها من خلال توسّع إجراءاته ومقصدياته، إذ أدرك أهمية الزمن الرمزية في المجتمع، وفي تداول الأفكار ومدى صلاحيتها، وفي النظر الى علاقته بقضايا إشكالية مثل التاريخ، أو بالأسئلة التي تقارب موضوعات غامضة مثل الحديث عن الزمن اللاهوتي، والزمن الطبيعي والزمن السحري والميتافيزيقي، وهي قضايا سجالية

ما يُحسب للباحث مغامراته في توجيه مقارباته، وفي نظرته المعرفية للإثبات والإختلاف

أيضاً، عملت الفلسفة ومنذ قرون طويلة على التعاطي مع اسئلتها المعقدة، لاسيما مع أطروحات كانط الذي وجد في النظام الطبيعي دليلاً على إثبات وجود الله، وأن بدء هذا النظام يعني بدء الزمن، والذي يعني بدء المعرفة، أي معرفة الذات الإلهية التي حاول هولباخ أن يجعل منها عللاً ضرورية للحديث عن "الفصل التام بين الالهة والطبيعة" إذ يرتبط ذلك بالتوصل المعرفي، بوصف المعرفة أداة وفعل، مثلما أن الإنسان ـ عنصر المعرفة ـ هو الكائن المتعالي الذي يسعى عبر تلك المعرفة وعللها الى إدراك الله، وإلى اخضاع الطبيعة الى معرفته، بوصف المعرفة/ العقل هي القوة التي تُحرر الإنسان من القصور كما يقول كانط وتعزز علوية الإنسان بعلوية العقل ذاته.

ما يُحسب للباحث مغامراته الصعبة في توجيه مقارباته، وفي نظرته المعرفية للإثبات والإختلاف، إذ وجد في الأطروحة الفلسفية، وفي المقاربة الثقافية مجالاً للتعرّف على الزمن الذي تتحرك فيه الأفكار واهمية تلاقحها من خلال الحركة، وما يمكن أن تكتسبه من قوة، ومن رمزية فاعلة تدخل في تداولية المنظورات الثقافية والجمالية والدينية، والتي تتبلور فواعلها عبر مايطرحه الوعي الاجتماعي والوعي الديني، وعبر الاسئلة التي تستدعي من المعرفة، ما تستدعيه من التأويل، وتستدعي من العلوم ماتستدعيه من الفلسفة، وبإتجاهات تعكس مدى جرأة الباحث وهو يؤسس لمشروعه الثقافي، أو لما يجمعه من ملاحظات تدخل في تأطير أدبية القراءة، أو أدبية المتابعة، حيث يرصد التحولات الكبرى الحادثة في اشتغالات العقل الانساني، بوصفه مجال المعرفة الكبير، وهو مجال زمني لا يقوم إلّا على الحركة.

كما إكتسب الزمن العراقي حضوره في مقاربات الباحث بُعداً فارقا، إذ وضعه الباحث في سياق التعاطي مع فكرة التاريخ، بوصفه زمناً متحركاً، ومع الروايات التي جعلت من موضوع "بدء الخليقة" قريناً بالزمن العراقي، بوصفه تصوراً جامعاً للأساطير والملاحم، والتي جعلها أكثر تمثيلاً للشفاهيات، وللروايات التي وردت في الكتب المقدسة، مثلما وُجد مدوناً على الالواح واللقى التي تم العثور عليها في المدن التي حكمها السومريون والبابليون والآشوريون.

الزمن والاساطير العراقية

الأثر السومري، هو زمن البدء للنشوء، اقترنت به الأساطير التي تحكي عن زمن الالهة، وزمن الصراعات والملاحم التي تحكي عن انصاف الآلهة، وعن حكايات ملوك "الدول" الأولى في العراق، في شورباك ونفّر واريدو وبابل وآشور وميسان وغيرها، وهم يمارسون وظائف انصاف الآلهة في الحكم المُقدّس والاخصاب والنشوء ومواجهة الاعداء.

أثر هذه المدن في الحكم، هو أثر تأسيسي ارتبطت به النشوءات الأولى بالاساطير، وبسيرورة الزمن الذي يعزز ماهو مقدس وسحري في الأسطورة وابطالها، وحتى النُظم العبادية تخضع الى هذا السياق الأسطوري، الذي يجعل من البطل الأسطوري/ الإله ملكا للزمن والبشر وللخلق، فالزمن هنا هو جزء من فكرة زمن الخلق، ومن زمن الالهة، ومن علاقة الأم الكبرى باسطورة التخصيب بين الارضي والسماوي، فضلا عن كونه مجالا للتعريف بالتاريخ النشوئي لتأسيس "الحضارات العراقية القديمة" من خلال التعرّف على نظم عباداتها، وعلاقتها بالزمن الذي تتحكم خوارق الآلهة والملوك، وكذلك من خلال التعرّف على نُظم معارفها ودورها في نشوء مظاهر المعرفة- السحر، الطب، الرياضيات، القانون- حيث ورد ذلك من خلال التدوين على المسلات، وعلى اللقى، وعبر كتابة الشعر كما في قصائد "انخيدوانا" نصف الآلهة، وصاحبة المعبد الأكدي المعروف، فضلا عن حكاية الخلود، وهي حكاية تختصر فكرة القبض على الزمن من خلال الخلود، كما ورد في ملحمة كلكامش، التي وجدها الآثاريون في مكتبة آشور بانيبال،، وكما وجد أثره في الالواح وفي المدن والمعابد والزقورات من آثار، تتحدث عن الزمن الالهي، أي زمن الخلق وزمن النشوء ومايتعالق بهما من حكايات وسرديات ووصايا واسفار لمدن وحضارات حكمت العالم القديم.

رغم لغة البحث الصعبة، وانفتاح الباحث على مجالات معرفية متعددة، إلّا أنه قدّم لنا دراسة حاولت أن تتقصى فكرة الزمن، في دلالاته، وفي تغيّراته، مثلما عمدت الى تقصي حركة الإنسان بوصفه الكائن الذي يصنع الزمن عبر الحركة، ودأبه على أن يجعله جزءا من نظامه الوجودي والمعرفي، وهذا ما يُضاف الى جدية البحث وأهميته في الإقتراب الصعب من موضوعات تحتاج الى حيوية في البحث، وفي جرأة المغامرة التي تتحرك عبر تزمين المعرفة بصناعة الوجود التي تتعزز فيه رؤية الأنسان للمستقبل.

جدل (المنحة).. السلطة وكرامة المثقف

يُثار الجدل في كل مرّة بشأن (المنحة) التي تخصصها الحكومة للأدباء والفنانين والصحفيين وغيرهم من الفئات المشتغلة في المجال الثقافي، ووضوع هذا الجدل هو طبيعة تلك الـ (المنحة) وضئالة مبلغها، وتأخرها وعدم انتظامها، وحالة الضن التي تمارسها الجهات المسؤولة عند صرفها، كما لو كانت منّة أو هبة بائسة تُمنح لمتسول، الأمر الذي يعيد إلى أذهاننا الـ (مكرمات) التي دأب النظام السابق على صرفها لمتملقيه، إذلالًا للمثقفين الذين سحقتهم الحاجة، نتيجة للأوضاع الاقتصادية والمعيشية المختلة، الناجمة عن السياسات الخطلاء لحكومات المحاصصة المتعاقبة.

وقد ازداد الجدل والاحتجاج والاستهجان بشأن تلك الـ (المنحة) مؤخرًا بسبب ضئالة قيمتها التي لا تتجاوز الـ 350 ألف دينار، وإذا ما أدركنا أن تلك الـ (منحة) سنوية، سنعلم تفاهة قيمتها وعدم جدواها، وسط تساؤلات محيرة عن الفارق المهول بينها وبين المرتبات الباذخة التي ينعم بها المسؤولون على أتباعهم وبطاناتهم.

إن استمرار العمل بطريقة المُنح والهبات والمساعدات الإستثنائية والبطاقات التموينية، على مدى أكثر من عشرين عامًا، لهو دليل قاطع على فشل النخبة الحاكمة في بناء اسس دولة حقيقية عصرية تستند إلى القانون والنظام وتحفظ كرامة الناس من السؤال والحاجة.

إنّ الحل الأجدى والأنفع هو تأسيس صندوق للضمان الاجتماعي خاص بالمثقفين، بالتعاون مع اتحاداتهم ومنظماتهم وجمعياتهم، كما معمول به في معظم بلدان العالم، لضمان وصول الدعم لمن يحتاجه من المثقفين، ممن يعانون من حالات إضطرارية طارئة، كالمرض أو الحاجة إلى العلاج والتداوي داخل أو خارج العراق.

ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا بأنّ الكثير من المثقفين العراقيين، على الرغم من أوضاعهم المعيشية الصعبة، لا يعني لهم مبلغ المنحة شيئًا، بينما يعاني آخرون من أقرانهم وهم في أمَس الحاجة لأي دعم مالي أو عون، مهما بلغت ضئالته، وبالتالي، فأن صندوق التكافل الاجتماعي أجدى وأنفع وأكثر جدوى وعملية، لأن الاتحادات والجمعيات الثقافية أدرى بشؤون أعضائها وحالاتهم الاجتماعية، وفي الوقت نفسه، قد يغني هذا الحل المثقفين عن الحاجة إلى السؤال والوقوف في طابور استلام المنحة المُذلة أمام أبواب المسؤولين ودوائر الدولة المختلفة التي لا تراعي أي احترام لمكانة المثقف العراقي ودوره بالغ الأهمية في توطيد الحالة الاجتماعية وتماسك اللحمة الوطنية.

وعلى الرغم مما تقدم، وبالنظر لاستمرار سوء الأحوال السياسية للبلاد في ظل هيمنة الأحزاب المتحاصصة التي جاءت في أعقاب الاحتلال البغيض، وعدم ظهور أية علامات تعافي للأوضاع الاقتصادية، وتفاقم الأزمات المتعاقبة، فأن الحاجة باتت ضرورية لأن تسعى الاتحادات والمنظمات الثقافية إلى تعظيم مواردها، سواء بالاستثمارات، أو بالضغط المتواصل بالوسائل كافة على (صنّاع) القرار والمتصدين للسلطة والبرلمانيين، من أجل استخلاص مبالغ دعم خاصة بطريقة دستورية من ميزانية الدولة للثقافة، وعدم الركون وربط تمويل تلك الاتحادات والنقابات والجمعيات وأعضائها، بما يتصدق به السياسيون الفاسدون من سراق المال العام، الذين لا يرون سوى مصالحهم ومصالح اتباعهم، بينما يضعون الثقافة، بمجملها، كأنشطة وفعاليات وممارسات وحالات وطنية متقدمة، في أسفل سلّم أولوياتهم.

ثلاثة وثلاثون عامًا على رحيل صاحب "النخلة والجيران"

الروح العراقية المُجسدة بالكلمات

تصادف ذكرى رحيل الروائي العراقي الكبير غائب طعمة فرمان عن عالمنا في مثل هذه الأيّام من العام 1990 عن 63 عاماً، في موسكو، حيث قضى معظم سنوات عمره في غربته، وحيث كتب جميع رواياته الثماني، إذ كان يعمل مترجماً في دار التقدم الشهيرة التي قدّمت روائع الأدب الروسي إلى العربية.
في هذا الملف نحاول تقديم آراء عدد من الكتّاب العراقيين عن تجربته ومكانته المرموقة في تاريخ العراق الأدبي والرواية العراقية، بالإضافة إلى آراء عدد من النقاد والكتّاب العرب، ونحن نمني النفس في العودة إلى هذا الملف في دراسات أعمق وأكثر شمولية.

غائب طعمة فرمان ذكرى مقال

سعد هادي

لقد حاولت أن أقارن بين مكونات ومظاهر وأشكال الزقاق الحقيقي أو بالأحرى صورته الراهنة وبين زقاق آخر خيالي، تجسّد على الورق، ليتحول مع مرور السنوات ومع عمليات التحول المستمر في معمار المدينة وتكوينها المادي وبناها الإجتماعية والروحية الى أشكال نقيضة أو الى أطلال لذكرياتٍ ومشاهد لا يمكن إستعادتها، وظلّت تلك المحاولة تراودني وأنا أكتب مقالاً يستند الى المادة المثيرة التي حصلت عليها: ذكريات ووثائق ومشاهدات ورسالة بخط يده وأفكار أو أشباه أفكار عن العمل الأدبي وجدواه وأصوله وصيرورته الأولى، لم يكن موضوعاً بل كان تجربة في الرؤية واستعادة الماضي وإعادة صياغته بطريقتي الخاصة، أردت أن أعيد ما رآه غائب أو ما تأمل من خلاله، أو ما ساهم مكانياً في تشكيل وعيه، كما حاولت أن أستعيد بعضاً من ملامح صورة الروائي شاباً.
عدت الى الزقاق وحيداً لمراتٍ عدة فيما بعد، لأسباب مختلفة، ليس من بينها أنه زقاق فريد فأشكال بيوته وطرازها المعماري، تتكرر الى ما لا نهاية في الجزء القديم من بغداد، وليس لأنني كنت أبحث عن ملامح الوجوه التي تجسَّدت على صفحات رواياته، أو تكررت بسماتها من رواية الى أخرى، ولا لأني كنت أعاني من نوستالجيا أحاول علاجها أو البحث عن أسبابها، بل لقد كنت أمتلئ لإرادة حلمٍ مر بي في تلك الأيام وظلت تفاصيله تلاحقني، وما زلت أشعر بحزن عميق كلما تذكرت تلك التفاصيل أو استعدتها عرضاً: كنت أجلس في غرفة غائب أو غرفة شبيهة بها، وكانت هناك كوة في السقف يتساقط التراب منها وفي جانب من الغرفة هناك خزانة كتب وأريكة ومرآة كبيرة معلقة على الحائط، وكانت الكاتبة الراحلة "حياة شرارة" تجلس على الأريكة وفي يدها أوراق تعيد قراءتها، كانت الأوراق تتساقط من يدها وتختلط بالتراب، الغرفة شبه مظلمة وليس فيها سوى فانوس يُصدر ضوءاً شاحباً، بعد قليل دخل غائب الى الغرفة وتبعه رجل عجوز وخرجا بدون أن يقولا أي كلام، نهضت أنا من مكاني وقد كنت أجلس على الأرض ولحقت بغائب ولكنه كان قد اختفى، خرجت من البيت وسرت في الزقاق وحيداً فلم أجد أحداً أيضاً، كانت أبواب البيوت والمحلات مغلقة وهناك ركام من التراب يزداد ارتفاعاً ويسد الطريق أمامي، ثم لا شيء بعد ذلك، تلك هي تفاصيل الحلم بإيجاز، حلم حزين، بدرجة لا يمكن وصفها ولا سردها ولا تدوينها على الورق، ربما كان الحزن نبوءة بشكل ما بالموت المفجع للكاتبة "حياة شرارة" التي انتحرت لاحقاً- 1997، أو كان نتاج اقتران بين ميتتين مأساويتين، إحداهما حدثت فعلاً والأخرى على وشك الحدوث، أو لعله "أي ذلك الحزن" كان اختزالاً لحزنٍ جماعي غلّف حيواتنا في تلك السنوات.
لم يقيض للموضوع أن ينشر بسبب فقرة فيه تشير إلى ما فعلته العائلة بكتب غائب بعد شباط 1963 "في طقس فولكلوري ظلّ يتكرر في تاريخنا السياسي والإجتماعي"، إذ دفنت تلك الكتب على عجل وبدون انتباه لمحتوياتها، بل لأنها كتب ليس إلا، دفنت مثل أجساد حية وضاعت آثارها، وستظل ضائعة الى الأبد، أما الموضوع فقد ظلّ بين أوراقي لأشهر ثم أخذه صديق مني وسافر، ولم أعرف مصير الموضوع ولا مصير صديقي.
سأذكر هنا أنني رأيت غائب طعمة فرمان مرة واحدة فقط، وقد حدث ذلك بصدفة فريدة، كان قد عاد الى بغداد في شتاء عام 1974 ليشارك في مهرجان المربد أو ليحضر بعض جلساته، وفي ليلة من ليالي مدينته الألفية الأثيرة، دخل إلى قاعة اتحاد الأدباء وجلس على مائدة مجاورة، وسط مجموعة من أصدقائه، كانت هيئته تناقض ما كان لدي من انطباعات عنه: كنت أتصوره طويلاً فإذا به قصير ونحيف، وكنت أتصوره مثالاً نمطياً للشخصية البغدادية: بتدفقها وطلاقتها فإذا به صامت أو هكذا رأيته طوال الجلسة ولم تكن تفصلني عنه سوى خطوتين، يوجز ما يقول بصوت خافت وعبارات حذرة، بدأت تتلعثم تدريجياً مع تلاحق الكؤوس التي تجرعها بسرعة.
كنت قرأت آنذاك روايتيه: "النخلة والجيران" و"خمسة أصوات" واكتشفت عبر القراءة عالماً أعرفه جيداً ولكن لا أحد اقترب منه أو حاول إعادة تأليفه على الورق، ظلّ عالماً مجهولاً وسيظل هكذا لزمن طويل، وبعد شهور ومع صدور روايتيه "المخاض" و"القربان" صرت أعتقد أن العالم الروائي الذي فتح غالب أبوابه هو عالم متعدد السبل والإتجاهات والوجوه وإن الرحلة إليه قد تبدأ ولكنها لا تنتهي، كان عالماً سحرياً بالقدر نفسه الذي كان فيه عالماً واقعياً، يختار الروائي عناصر مادته من الحياة ومن مظاهرها وإشكالاتها وطبقاتها الروحية والمعرفية المتتالية، ولكنه لا يعيدها إلى ذلك العالم، ورحت أقارن بين فرمان وكتّاب أعرفهم، فتيقنت وما زلت على ذلك اليقين: أن روايته "النخلة والجيران" هي من بين أجمل ما قرأت عراقياً وأنها رائعة لا تتكرر وقد لا توجد في أدبنا كله رواية تقترب منها، أما حين قرأت روايته الأخيرة "المركب" في فترة لاحقة، وقد كانت الخاتمة لمشروعه الروائي، فقد أعدت في ضوء القراءة تأمل عناصر تجربته والتعرف عليها من زوايا جديدة، إضافة الى المقارنة بين شطحات البداية والنزوع الى المغامرة والاكتشاف وبين الرؤية الناضجة والحرفية والإحاطة بمشكلات الواقع العراقي والتي لم يكن غائب قد عرفها عن قرب "وهو البعيد في منفاه الموسكوفي لثلاثة عقود متتالية"، ثم في إيجاد البنية الروائية المقنعة القادرة على احتواء تلك المشكلات وإعادة إنتاجها فنياً، لذا ستظل "المركب" لغزاً بالنسبة لي وسيظل بناؤها وشخصياتها ونسيج العلاقات فيها بل وأيضاً رمزيتها، جزءاً من أسرار غائب كاتباً روائياً وهي أي "الرواية" دليل على تمثله الدائم للروح العراقية وقدرته في التعبير عنها، ولولا "النخلة والجيران" لاعتبرت "المركب" بلا تردد من أهم أعماله وأكثرها جرأة واكتمالاً في الرؤية والبناء، إنها شهادة من كاتب بعيد، حامل، تأمّل طويلاً في موضوعٍ يعرفه ووصل الى أعماقه ثم عاد ليضع أمامنا ما قبضت عليه أصابعه من تلك الأعماق، وهي "أي المركب" خاتمة فريدة لمشروعه الروائي وخلاصة لتجربته الطويلة في الكتابة التي بدأها منذ أواخر الأربعينيات إلى جانب كونها علامة متميزة في الرواية العربية التي جعلت من غائب أحد أساطينها.
إن ما يشدني الى غائب وربما هو أيضاً ما يشد الكثير من قرائه هو روحه العراقية التي تتوارى خلف كل جملة من جمله، ثم حسه الإنساني العالي، وكذلك حياديته كروائي إذ لا يكاد يظهر إلا بشكل عابر في نصوصه، تاركاً الحلول الأساسية في أيادي شخصياته أو مخلوقاته الروائية، كما يشدني إليه أيضاً تأمله في المأساة العراقية ذات الأوجه المتعددة وسعيه لإعادة تمثيل فصول تلك المأساة على الورق، وهي المأساة نفسها التي قتلته حزناً في 17 آب عام 1990، حين بدأ نشيج أمنا الرؤوم، الحرب، يتصاعد ليوقظ كائنات العالم السفلي من رقادها، وليدخل العراق منذ ذلك الحين في متاهة ما زال يدور فيها، حتى لتبدو عملية خروجه منها محض وهم.

الرواية التي ستبقى أمد الدهر..

خضير فليح الزيدي

قبل عشر سنين أو أكثر قليلاً، لم تول مراكز البحث الثقافي في العراق ـ على قلّتها ـ والمهتمون بالتراث الأدبي، اهتمامًا موسعًا بأصحاب الريادة، كما يحصل في مصر ولبنان أو البلدان التي تحترم أدباءها الراحلين، ولم تؤشر على نطاق واسع عبقرية الكاتب العراقي والروائي الفذ غائب طعمة فرمان إلا ما ندر.
غائب العراقي الذي ولد في بغداد، وتوفي في صقيع موسكو، أحب بغداد الأزقة والدرابين والحارات، بل شغف بها حدّ الوله والهيام، مما انعكس على معظم سردياته. لكني ككاتب عراقي كنت أبحث عما كان مخفياً من حياته الاجتماعية وتمثلات ثقافته الأولى في معظم رواياته، من رواية «النخلة والجيران» حتى «خمسة أصوات» أو «القربان» أو «آلام السيد معروف» وغيرها. أجزم هنا أن فرمان كان يعرف تماماً أنه يكتب الرواية الطليعية، التي ستبقى إلى أمد الدهر، كعلامة عظيمة ورائدة في مجمل النتاج العراقي والعربي في الآداب الخالدة. تلك المعرفة جعلته يشق طريقاً مختلفاً عن مجايليه كفؤاد التكرلي، وعبد الملك نوري. كذلك مما يؤشر إلى حياته الاجتماعية أنه من عائلة فقيرة وكادحة تنحدر من حي المربعة البغدادي الذي تشكّل على نسيج مجتمعي متنوع. كذلك، يعرف عنه أنه كان قليل الاختلاط، لكنه يهتم كثيراً بظاهرة الرصد الميداني للظواهر المجتمعية، ولم يكن متمرداً على الواقع أو السلطة في حياته لكنه يرفض الظلم، وقد انغمس في حركة اليسار العراقي. وعندما ضاقت حلقة المضايقات السلطوية، هاجر وفي رصيده أكثر من رواية عراقية.
لا يخفى انحياز فرمان للطبقات المسحوقة المتبناة ضمن وعيه الفكري والسياسي
فرمان هو نجيب محفوظ العراق. كتب عنه مرة جبرا إبراهيم جبرا في إحدى إشاراته النقدية المهمة بأن فرمان يركّب الواقع تركيباً مدهشاً كما في رواية «النخلة والجيران»، ولم يقل عنه أنّه ينتمي لتيار الواقعية الاشتراكية كما كان شائعاً آنذاك.
ما زلت أعمل على رواية عراقية بطلها غائب طعمة فرمان، رواية تقترب في أسلوبها من معظم سردياته لشغفي بعبقريته وبريادته التي أذهلت المتتبعين لمسيرة الرواية العراقية المتعثرة من بعده.
رغم ميوله اليسارية، إلا أنّنا لا نعثر على إشارة إلى شغفه بالحركة الشيوعية في أعماله التسعة، لكنه في المقابل كان متحرّراً من ثقل الأيديولوجيا أثناء الكتابة، مع العلم أن بعضها ينعكس بظلاله على ما ذكرت. ومما يُذكر من مجايليه أنّه كان شديد الاكتئاب ولا يقيم علاقات إلا مع قلّة من الكتاب. وحين يجلس في مقهى «البرازيلي» ذائع الصيت في بغداد، كانت مائدته تختصر على القاص عبد الملك نوري، وفؤاد التكرلي وإدمون صبري. كانت المائدة عامرة كل يوم، وفيها الوقت المخصّص لمراجعة الصفحات الثقافية للصحف اليومية، ومن ثم يتم تداول القصة والرواية وطرق الكتابة الشائعة آنذاك. هو قرأ نجيب محفوظ، لكن الأخير لم يقرأ روايات غائب طعمة فرمان.
في أحد الأيام، زرت الهيكل المتداعي لمنزل فرمان، وقمت بتصويره ونشره على صفحتي الشخصية، وقد وجدت تجاوباً هائلاً من المتابعين للمنزل الذي ألهم الرجل هذا الإبداع في روايته «النخلة والجيران» وتحت عنوان لافت في حينها «بيت فرمان_ لا نخلة ولا جيران»، إذ هاجر معظم سكان حي المربعة خارج المنطقة وتحولت إلى منطقة صناعية وتجارية ومخازن للأدوات الاحتياطية، وبذلك فقد الحي الملهم الأول للكاتب، نكهة المنزل/ الأيقونة. لكن ما حصل أن المستثمر هدم كامل البيت كي يتخلص من هاجسه من أن السلطة ستحوّله بيتاً تراثياً، وإن كان ذلك لن يحصل إلا في الأحلام. لكن جذر النخلة بقي في مكانه مع جهود آلة «البلدوزر» العملاقة التي سوّت البيت بالأرض.

الرواية تعالج تاريخ الجزائر ما بعد الاستقلال. أي بعد الثورة المسلحة، ومحاولة ترميم جروح الفرنّسة، وملاحقة صعود سياسيين جدد خلقتهم المرحلة

نخلة وارفة الظلال.. بين المشاهدة والقراءة

عبد الرزاق الربيعي

شاهدت رواية الكاتب غائب طعمة فرمان «النخلة والجيران» (1966)، مجسّدة على المسرح عندما أعدّها وأخرجها الراحل قاسم محمد، قبل أن أقرأها. أمر تكرّر مع روايته «خمسة أصوات» (1967) التي تحولت إلى فيلم باسم «المنعطف» أخرجه الراحل جعفر علي، وعرض 1975 ومثّله: يوسف العاني، وسامي عبد الحميد، وزكية خليفة، وعبد الجبار عباس، وعبد الجبار كاظم، وسمر محمد، وطعمة التميمي، وسميرة أسعد. ورغم أن الكثير من جماليات وعناصر الفن الروائي تضيع في الطريق إلى السينما والمسرح حين ينتقل النص الروائي من بيئته الورقية القائمة على الكلمات، والمجازات، إلى بيئة بصرية، تتشارك فيها الصورة، والموسيقى، والصوت في رسم المشهد، وقد يجيز المخرج والمعدّ لنفسه حذف شخصية من الشخصيات أو مزج شخصيتين في شخصية واحدة، أو إضافة شخصية يجدها المخرج ضرورية، لكن تبقى الروح والخطوط العامة، والشخصيات التي تتحرك على خشبة المسرح أو الشاشة، تلك الروح هي ما ميّز أعمال غائب طعمة فرمان.

الحفر في الذاكرة

بقيت شخصيات «النخلة والجيران» الهامشية التي كثيراً ما كانت تعيش بيننا، محفورةً في ذاكرتنا، بكلّ إحباطاتها التي صنعت صراعات من واقع أليم أفرزتها، رغم أنها تتحدث عن فترة الأربعينيات إبان الحرب العالمية الثانية وما رافقتها من إفرازات انعكست على المجتمع الذي كان يرزح تحت وطأة الوصاية الإنكليزية. وقد رمز بكل ذلك لموت النخلة الوحيدة، في البيت، التي تحيط بها المياه القذرة «التي تلقى في حوضها ويمر الصيف والشتاء من دون أن تحمل طلعاً»، فبدت مخيفة رغم ارتباطها بماضي «سليمة الخبازة» الجميل، لكنها تجد فيها معادلاً لنفسها الحزينة، البائسة. وبهذا المدخل، يسلّط الكاتب الضوء على شريحة تعيش واقعاً مزّاً، فهي شخصيات يائسة، فاقدة للأمل، تتحرك ضمن دوائر مغلقة، تتجسد في شريحة من المجتمع تتأرجح بين واقعين: واقع يزول تدريجاً، بعد انتشار خبر بيع ولدها حسين للبيت، وتوقّع قطع النخلة العاقر، ليتمّ اجتثاث الماضي، الذي تلوذ به شخصيات الرواية، لتقع فريسة لخوف من التغيرات التي تعصف بالمجتمع البغدادي، وواقع غامض.
ولأن الرواية كتبت باللهجة المحلية الدراجة، كان تحويلها إلى عمل مسرحي شعبي، أكثر يسراً، وطغت الكوميديا التي يمكن أن تندرج ضمن الكوميديا السوداء، على العرض الذي قدمته «فرقة المسرح الفني الحديث»، بعد اطلاع الكاتب غائب طعمة فرمان على النص الذي أعده المخرج قاسم محمد العائد يومها من موسكو، محمّلاً بالكثير من الأحلام والمشاريع، فوجد ضالته في رواية «النخلة والجيران». بل إنّ المخرج عرض على المؤلف صور أبطال المسرحية لإبداء الرأي، كأنه يسعى إلى مطابقة أشكال أبطال المسرحية لشخصيات الرواية المرسومة في مخيلة المؤلف.

عطاؤه المسرحي

أدى الفنان الراحل يوسف العاني، أحد أبطال المسرحية، دور «العربنجي» إلى جانب: سامي عبد الحميد، وخليل شوقي، وناهدة الرماح، وزينب، وكريم عواد وفاضل السوداني، وسليمة خضير، ومقداد عبد الرضا، وزكية خليفة، وعبد الجبار عباس، وأزدوهي صوميل، وتماضر عبد الوهاب، في أول مشاركة لها مع الوجه الجديد آنذاك الفنان فاضل خليل، إلى جانب عدد من الفنانين. وفي مقال له حول هذه التجربة، يقول العاني إنّ المؤلف أجرى تعديلات طفيفة على النص «حرصاً على إبقاء النكهة العراقية الصميمة في كل مشهد من مشاهد المسرحية، وتأكيداً على أهمية البناء الدرامي الذي لا بد من أن يظل على نموه، وصعوده في المسرح».
وقد نجحت نجاحاً باهراً على المسرح، حين عرضت في كرادة مريم في بغداد عام 1969، وقام بتصميم ديكورات العرض الفنان كاظم حيدر. حتى إنّ العرض استمر لأكثر من ثلاثة شهور، فزاد من شهرة الرواية التي عدّت ضمن أهم الروايات العربية.

السلطة والفن

الإصطدام بحواجز الثقافة الهجينة

جبار الجنابي

”نحن كثيرا ما نبلع التفاصيل لأننا (في) داخلها، بالأحرى تبتلعنا بحيث لا نشاهدها، وحتى لو شاهدناها، فإننا نجدها صغيرة مقارنة بشيء من حجم كبير غير محدد، ولا نستطيع تحديده، فنثرثر بشأنه. إنه خازوق كبير لو تدرون، لكن من يعترف بأنّه يجلس عليه، وهو يكتب وهو يمشي وهو نائم وهو يتظاهر؟“

سهيل سامي نادر

مازال الفنان العراقي ونتاجه الابداعي ومنظومته العريقة هدفا ”للمنظومات“الحُكمية المتعاقبة لان الأنظمة الطارئة دائما تستخدم النسيج الثقافي قناعاً لسلطتها وللأسف الشديد كان لبعض المحسوبين على الثقافة والفن العراقي- واقول: حتى لبعض الفنانين المهمين (مرغمين أو طواعية) دورفي تمكين تلك السلطات الطارئة من استخدام الفنان ومنظومته والاستحواذ على نشاطها وتوجيه نتاجه في حقب زمنية مختلفة جَيَّرت الفنان ومعظم انتاجه لصالحها لان تلك السلطات اعتبرت جازمة ان النتاج الثقافي ملك صرف تلبسه قناعا ذو بعدين (محلي ودولي) فخلقت اجواءً اجازت فيها المحسوبية والتملق! فَتَدَرَّن معيار القرب من الحاكم والحاشية الذي نخرعظم الفكر الحر، انتجت ظاهرة الرئاسة الشرفية للنقابات والجمعيات من حاشية الحاكم فكان مشهداً من الكومديا السوداء - أن ”احد مرافقي الدكتاتور“ الذي طرأت لديه متعة جمع الاعمال الفنية (رئيسا فخريا) لصرح ثقافي كجمعية التشكيليين العراقيين بكل تاريخها ورموزها فاثار ردود افعال مختلفة انتهت بانتصار السطحية وتسيّد السماسرة واللصوص فأُبخِس الفنان وتوُجِرَ بنتاجِه بحجة ان علاقاته التي اكتسبها لقربه من (الحاكم) ستساعد الفنانين في تصريف نتاجهم ايام الحصار مما شكل ضغطا ”وجوديا“ اهان الفن وكرامة الفنان فظهرت فئة من الأمين ترتزق من الأنتظار على باب التاجر تتوسل لاقتناء اعمالهم تخلصا من قسوة الحصار الذي فتك بنسيج المجتمع وقيمه، حتى أُجِر الكثير من الفنانين على الإفلات خارج حدود البلاد الى المجهول يوم اشتد الحصار فاصبحت السلطة تستخدم بالاضافة للمثقف) الدين بحملة الايمانية) فاشتد الخناق على الوسط برمته ومن كل الجهات وهنا اصبح دور الجمعية دور اقرب الى مركز تصريف اعمال لمن لم يغادر بيته، حتى 2003 ومابعد عندما انفرد الدين بمقدرات بلد وشعب منهك ووسط ثقافي ممزق ومشتت مصاب بالذهول من انفلات امني يهدد حياتهم ومؤسساتهم وحريتهم التي كانوا يأملونها من التغيير مطعمة بأمل باهت. للاسف الشديد ان هذه الروحية (التزلف والتملق ومغازلة السياسي او صاحب السلطة) ما زالت تتمتع بها شريحة من المخضرمين لانهم تعودوا عليها او هي عمق تكوينهم وهذا لمسته شخصيا خلال وجودي في بغداد مؤخراً.

الدفاع عن المنجز والتاريخ

وفي خضم بحثي عن تفاصيل كيفية الحفاظ على بناية الجمعية بعد الاحتلال الامريكي ودخول المرتزقة والمليشيات التي تبحث عن مقرات لها تتصدر المدينة العريقة بغداد، تعرض المبنى للاختطاف برمته بعد التخريب والسرقة وتفصيلا لجانب من قسوة المشهد وتحولاته،

حدثني عبر البريد الالكتروني الفنان قاسم سبتي رئيس الهيئة الادارية الحالية للجمعية:

”في اللحظه التي دخل بها الغزاة الأمريكان إلى بغداد جاءني من يخبرني (الناقد عادل كامل) وانا في قاعة حوار، بأن الجمعيه قد احتلها أحد الأحزاب التي جاءت ممتطيه صهوة الدبابات الامريكيه! فما كان مني ألا استنهاض همم من كان حاضرا في القاعة وهم ـ كما أتذكر ـ الفنانين سعدي الكعبي وكريم رسن وأخرين وقد توجهنا بسياراتنا الخاصه صوب الجمعيه في المنصور عبر الجسر الحديدي والذي كان يخلوا من السيارات حينها بسبب الاحتلال وحين وصلنا ودخلنا فوجئنا بأن قطعة الدلالة والتي خطها الراحل هاشم البغدادي قد كسرها لصوص الحزب الذي احتل مبنى الجمعيه ووضعوا بدلا منها علم حزبهم البائس فدخلت والفنانين الآخرين وكنا بحدود سته إلى داخل القاعة الكبرى للجمعية فبادرنا أحد اللصوص قائلا.. ها بعثيه شعدكم! فبادرته بسؤال معاكس ومن انتم أيها الحراميه فاجابني وبحماس نحن ورثة الملك وجئنا نسترد ملكه فاجبته.. لقد منح الملك الأرض إلى الفنانين وتبرعت مؤسسة كولبنكيان ببناءها وكان الملك بكامل دستوريته وقواه العقليه حين أمر بمنحها وانكم بتصرفاتكم تسيئون له وهنا بدأت لغة أخرى تستخدم إلا وهي (البوكسات)! وفجأة سحب أحدهم مسدسا من خلفه فما كان مني ألا الهجوم عليه وطوقته بذراعي محاولا تفادي ماقد يحدث لاحقا من أمور لاتحمد عقباها!! أما الآخرين فقد استلم كل منهم واحدا وراحت الأيدي تتكلم والالسن تشتم!! وهنا صرخ أحدهم وكان كبيرا بالسن:“يمعودين احنه أخوه وعراقيين شجرالنه*؟“ فتوقف الجميع عن القتال وبادرنا الشيخ قائلا بأنهم سيغادروا المكان الاسبوع القادم إلى مكان آخر هو مبنى مجاهدي خلق في الكراده!! فقلت له الاسبوع المقبل سنلتقي ونرجو إنا سنجدكم قد غادرتم“.

وبعد اسبوع كان الأمريكان الذين بلغناهم بذلك الاعتداء قد جاؤوا بهمراتهم ليطردوا هؤلاء اللصوص وحين استلمنا المكان كان كل شيء قد (((تحطم فيها..وسُرِقَ))) وابتدأنا مشوار البناء والعمل منذ تلك اللحظه العصيبه“.

-تاملت هنا جملة السبتي الاخيرة: ”وابتدأنا مشوار البناء والعمل منذ تلك اللحظة العصيبة“

كيف تبدأ!؟ في مشهد رهيب!، مؤسسة منتهكة،عناصرها مبعثرة - اي كل ماتقوم به الجمعية سيوضع في خانة ((الفزعة)) المتعارف عليها في الريف العراقي “اي –الحملة“لانجاز مؤقت او مايشبه قانون طوارئ في بلدان الاحادية الحكم.

فما كانت انتفاضة الناقد المخضرم عادل كامل في 2011 الا غيض من فيض عبر عنه باحتجاجه ادناه كما نشر في الصحف عندما طالب بتجميد عضويته:

”ان مؤسسة رائدة ـ كجمعية الفنانين التشكيليين العراقيين ـ لم تعد بيتاً للثقافة والفنون، يناسب مواردها، وما تتلقاه من دعم، إلا بالاسم... الأمر الذي يجعلني أتقدم بهذه الأسئلة، وبهذه الاستفسارات، واعرضها أمامكم، وأمام الأعضاء العاملين، وأمام المسؤولين في الثقافة، والفنون، وأمام الجهات الرقابية، كالبرلمان، كي لا نفقد هذا الصرح، بما يحمله من تاريخ، وذاكرة فماالذي قدمته الجمعية منذ دمرت، في ربيع عام 2003، بما فيها من ممتلكات فنية، ووثائقية، تدميراً كاملاً؟ واضاف ما الذي فعلته الجمعية، بصفتها منظمة غير حكومية، تتمتع بالعمل في المجال الفني، الثقافي، الجمالي، بما يخص رفع الأنصاب، والتماثيل، وتشييد الجديد منها، في بغداد، وفي المحافظات، وهل ثبتت موقفها كمؤسسة تعنى بالحضارة، والتحضر...؟ وماذا فعلت إدارة الجمعية، للنهب والسرقة والمتاجرة بأعمالنا الفنية التي تعرضت إليها، في فترة الاحتلال، وما بعدها، وهي عمليات يمكن وصفها بالكارثة“.

الكثير من المشاكل المذكورة في احتجاج الاستاذ عادل كامل مازالت موجودة لكني ارى ان الادارة تحاول الموازنة بين خطين من العمل - الحفاظ على استقلالية الجمعية ومكانتها وبين توجه المسار الفكري والفني للنتاج المعاصر! وهذا مطب عميق له جذور في ”اللا وعي“يمتد الى حرب الثمان اعوام وايام الحصار فالقرارات تتخذ وتجد من ينفذها لتخلق نوعا من نخبة مقربة من الادارة ونخب بعيدة عنها ليخلق نوعا من التنافس المعتل ولايؤدي الى انفتاح في الرؤية.

ولكن بالامكان تحقيق التوجهين الدفاع عن منجز الجمعية والانطلاق الى ترتيب وهندسة الفعاليات وتوجهاتها بوجود فريقين اولهما اداري يركز على الاقتصاد و حقوق الاعضاء وواجباتهم وكذلك ارشفة وحفظ الوثائق بطرقه (المتحفية الحديثة) وهذا ما يهيئ للفريق الاخر وهي لجنة فكرية ورؤيوية تصمم فعاليات المؤسسة وبرامجها وترجع علاقاته بمؤسسات عالمية مثيلة لتنسيق خطط تعاون علمية تربط الفنان العراقي بالعالم.

انا شخصيا ادعم الادارة الحالية لكني آمل في انفتاحها وتطوير نظامها الداخلي ونشره، تدعيم هيكليتها وتحديثها واعتماد اسلوب البرمجة الاستراتيجية للبناء الاداري الرصين المدعم بخبرات ذات معايير دولية وبلغات متعددة.

واستحداث هيئة فكرية وفنية ذات اطلاع على الساحتين المحلية والعالمية لتصميم رؤية مستقبلية رصينة تتمتع بالديمومة وقابلة للتطور الذي من شأنه ان يسقط أي تكوينات طارئة تحاول ملء الفراغ بفقاعات جاهلة قد تكون طارئة وغير مهمة ولكن فعلها هدّام بشكل سرطاني يصعب تنظيفه على المدى البعيد.

وفي استطلاع اجريته مع زملاء واساتذة ومن اجيال متعددة من الارض الأم والمهجر لهم تاريخ في هذه المؤسسة العزيزة على قلوب كل الفنانين والتي تمثل بيتهم الوجداني.

جانب من نشاطات الندوات والحلقات النقاشية للجمعية

اليوم لا توجد للجمعية صورة واضحة عن طبيعة الفن الذي من المفروض انها قائمة من اجله، واصبح الجميع لا يهمه العمل الجماعي والتطوعي، بل الاعمال الشخصية وحسب

د. يحيى الشيخ-النرويج

جمعية الفنانين العراقيين كانت الحداثة وما تنطوي عليه من روح ثورية هي سمة الحركة الاجتماعية-الثقافية العراقية في منتصف القرن المنصرم. كان انبثاق جمعية الفنانين العراقيين تجسيدا لتلك الروح الصريحة والواثقة من دورها التاريخي ومراميه. لهذا قامت الجمعية بكل ما يلزم لحماية نفسها مستندة الى وعي اعضائها بدورهم الاجتماعي المتميز. منذ تأسيسها حتى طغيان الدكتاتورية وهيمنتها الجائرة على مفاصل الحياة، قدّمت الجمعية نفسها كرديف لمؤسسات الدولة في مجال الفنون والثقافة. اغلب الاحيان كان فعلها يفوق فعل الدولة، حتى امسى مقلقا للاخيرة وأثار حفيظتها وحقدها.

أيام السبعينات (ايام الصراع الخفي والخجول) كانت الجمعية نموذجا لشجاعة الموقف الثقافي بوجه الضغوط وشراء الذمم والتخريب الذي مارسته السلطة الغاشمة في المجتمع والوسط الثقافي تحديداً. لهذا تمتلك سحر القداسة وموضع الثقة بين فنان وجاد ومتلقي ناقد، ومبناها خيمة الجمال والرقة، هي كانت هكذا وتبقى في الذاكرة كما هي متمنيا ان تعود لعصرها الذهبي وان لاتتأثر بما تفرزه عوائد الأحداث.

محمد جاسم - بغداد

غياب النقد وسكوت النقاد وخدرهم ادى الى اضمحلال الوعي الثقافي وبروز طبقة من الطارئين للنفاذ الى المؤسسة الفنية والتسيد في اتخاذ القرار أدى إلى أبعاد وابتعاد الأسماء والمنتجات المهمة لحصول انتكاسة في التشكيل العراقي..

نبراس هاشم-بغداد

الفنانين يحملون في جيوبهم هوية الجمعيه فقط لافائده بها او منها ليس له الحق بالمطالبه بحقه لا يسمح عرض اي عمل سياسي او يصبب الجمعية، وفيما بعد وبعد الاحتلال الامريكي استمر السكون والصمت والاضطراب وغياب المهمات والاهداف الاستراتيجية للجمعية. اليوم لا يوجد للجمعية صورة واضحة عن طبيعة الفن الذي من المفروض انها قائمة من اجله، واصبح الجميع لا يهمه العمل الجماعي والتطوعي، بل الاعمال الشخصية ونوع من الانانية اطاح بالكثير من الامال التي يمكن ان تأخذ الجمعية على عاتقها، واهمها تطوير الرؤية للفن من حيث الفكر والممارسة، وهذه انسجمت مع الاهمال والغياب المسؤول للمؤسة الثقافية الرسمية للعراق، ومع غياب المؤسسات الداعمة الاخرى من مثل قاعات العرض والمراكز الثقافية واصحاب المجموعات، وانسحاب الاكاديميات والمعاهد المتخصصة للفن من دورها الاساس، التي اصبحت مجرد بنايات فارغة من دون فن حقيقي، كل هذه الظروف ساعدت على اهمال الجمعية لدورها الاساس.

كريم السعدون-السويد

أيام السبعينات وقبلتهم وكانت مزارا يتألق فيه الفنان وجودا وكانت فيها طقوس حقيقية في الاجتماع والسمع والفرجة وكانت فيها تقاليد للحوار والتلقي وكانت معارضها تمتلك سحر القداسة وموضع الثقة بين فنان وجاد ومتلقي ناقد، ومبناها خيمة الجمال والرقة، هي كانت هكذا وتبقى في الذاكرة كما هي متمنيا ان تعود لعصرها الذهبي وان لاتتأثر بما تفرزه عوائد الأحداث.

محمد جاسم - بغداد

غياب النقد وسكوت النقاد وخدرهم ادى الى اضمحلال الوعي الثقافي وبروز طبقة من الطارئين للنفاذ الى المؤسسة الفنية والتسيد في اتخاذ القرار أدى إلى أبعاد وابتعاد الأسماء والمنتجات المهمة لحصول انتكاسة في التشكيل العراقي..

نبراس هاشم-بغداد

الفنانين يحملون في جيوبهم هوية الجمعيه فقط لافائده بها او منها ليس له الحق بالمطالبه بحقه لا يسمح عرض اي عمل سياسي او معاصر او تجربه جديده أو ندوه يود ان يقيمها او حتى لقاء بأصدقاء لانشاء حلقه نقاشيه او الاستفسار عن ما تقوم الجمعيه او ما تملك الجمعيه وما لا تملك هل تعرف ان النادي الثقافي للجمعيه مؤجر من قبل شخص جعله خمارة وبه يلعب الدنبله بفلوس وحفلات ليليه لمغنين واطين.

عاصم فرمان-اليمن

انا حاليا بعيد عن الوطن من 10 سنوات فالتشكيله الحالية ماعندي تصور دقيق عنها... فقط متابعه عنها لبعض انشطتها بالفيس بوك... اما بخصوص عملي لفترة رئاسة الجمعية تحضيرة مع الراحل نزار الهنداوي كان رئيس الجمعية لاعادة ترميم ماتبقى منها انذاك والارتقاء بها.

لقد حققنا الكثير في الانشطة النوعية الفنية والاجتماعية والاصدارات واقتناءالاعمال الفنية وتمثيل الجمعية في العديد من اللجان واعادة ثقة الفنان بالجمعية بعد اهتزازها واقامة العديد من الانشطة خارج الوطن وتفعيل التكافل الاجتماعي والاهم هو التعامل مع الجميع بموضوعيه والابتعاد عن الشللية وبذلك كسبنا ثقة وتفاعل الجميع ومن مختلف الاجيال الفنية بالمشاركة الفاعله بأنشطتنا.. وغيرها كثير ويمكن العودة للتقرير السنوي للمؤتمر.

كل ذلك لفترة 3 سنوات من 2000 ولغاية 2003 بالرغم من كل الصعوبات وهي كثيرة.

نرمين الهرمزي-بغداد

جمعية الفنانين التشكيليين هي المتنفس الوحيد للفنان العراقي كونها جمعية مستقلة غير حكومية اي ان الفنان هو وحده من يدير عجلة مهامها وله مطلق الحرية في خلق الأجواء التي تساعد على تطوير الحركة الفنية واثبات الهوية الفنية التشكيلية وعليها الدفاع عن مصالح الفنان، وما نتمناه من الجمعية هو اكتشاف المواهب الفنية وإبرازها لكي تاخذ مكانها في الحركة الفنية،وتسليط الضوء على التراث الشعبي ووضعة في تيار عالمي، مد يد العون للفنانين الذين يقومون بأبحاث ودراسات عليا، انشاء مكتبة في داخل الجمعية تحوي كل ماهو مطلوب من المصادر والكتب الفنية والتاريخية لكي تكون متنفس الفنان للقراءه،العمل الجماعي من اهم الدوافع التي تَخَلَّق روح المنافسة عند الفنان فعليها رعاية هكذا نشاطات من خلال إقامة سمبوزيومات ونشاطات مشابه، تبادل الثقافات والخبرات بين العالم العربي والعالمي مهم جدا،لايجب ان تكون جمعية الفنانين مجرد قاعة لعرض الاعمال فهي ليست اتاليه بل عليها ان تكون خلية عمل مثمرة من خلال ورش العمل المشتركة، إقامة الندوات بصورة منتظمة، هناك فنانين فطرين عليها تسليط الضوء عليهم فليس كل من حمل شهادة الاكاديمية هو فنان فإرثنا من اجدادنا سومر وآشور وأكد وبابل وكل تلك الحضارات كانت فطرية، ولكي تتحقق كل هذه الجوانب على الفنان ان يبتعد عن الانانية والذاتية وسيحالفنا النجاح اذا وجد الإخلاص في العمل ووضعنا مصلحة الارتقاء بالمستوى الفني التشكيلي فوق المصلحة الشخصية.

خلاصة

هذه الطروحات لوجهات النظر التي حصلت عليها مباشرةً من المتحدثين عبر البريد الالكتروني بعد ان راسلت العديد من الزملاء فمنهم من لم يجب على رسائلي ومنهم من تحفظ! واخرون تلبسهم اليأس فأجابوا بعدم الجدوى

جانب من اجتماعات الهيئة الإدارية للجمعية

معارض الفنون والتشكيلية والفوتوغرافية في الجمعية

لقطة من فيلم "طفيلي" للمخرج

الفيلم الكوري الجنوبي "طفيلي".. الطبقية والأخلاق والتأثيرات الرأسمالية

جوليا والاس
ترجمة: نادية بوراس

حقق فيلم بونغ جون ـ هو، "طفيلي"، نجاحًا هائلاً، وسجل أرقامًا قياسية في شباك التذاكر، وتلقى آراء حماسية، وحصل على ستة ترشيحات لجوائز الأوسكار كأول فيلم كوري جنوبي يترشح لتلك الجائزة. ومن غير المعتاد نسبيًا أن يحدث فيلم بلغة أجنبية ـ غير الإنكليزية ـ مثل هذا التأثير على الوعي السينمائي الأمريكي.

ما الذي يميز هذا الفيلم إذن؟ ولماذا انبهر الناس وتأثروا بهذه الدراما الكورية الجنوبية الغريبة؟ الجواب بسيط للغاية، أنّه بسبب الكيفية التي يصور بها الاضطهاد الطبقي.

لا توجد طريقة للفوز

يعرض الفيلم عالم الفقراء ونفاق "القوانين" الرأسمالية. حيث تعيش الأسرة في فقر مدقع ـ تحاول أولاً البقاء على قيد الحياة، من خلال العمل غير المستقر، المتمثل في طي علب البيتزا، على الرغم من أنهم ـ أفراد العائلة ـ ناشطون مدنيون من الطبقة الوسطى، ومتعلمين. إنّهم في الحقيقة أذكياء وقادرون على التخلص من واقعهم المزري بسبب ذكائهم ـ ذلك، تُدمر حكومة الولايات المتحدة الأقل قيمة ـ أو ذكاء الشارع.

غالبًا ما يُعين أفراد الطبقة العاملة في مناصب يتوجب عليهم فيها، إما خرق القانون، أو الجوع. كان على العديد من العائلات، على سبيل المثال، وضع فواتير الخدمات العامة بأسماء أطفالهم للحفاظ على الإضاءة، والاستمتاع بالماء الساخن وطهي وجباتهم. في الولايات المتحدة، هناك أقسام احتيال كاملة مخصصة للقبض على الأشخاص الذين يكذبون بشأن مزايا الضمان الاجتماعي الخاصة بهم. وفي الوقت نفسه، لا يدفع الملياردريات أي ضرائب، لأنّهم يخزنون أموالهم. وهذا يُعد أمرًا قانونيًا، لكن ادعاء ابن عم لك يعيش معك أحيانًا كمعال هو أمر غير قانوني! علاوة على ذلك، تُدمر حكومة الولايات المتحدة غالبًا ما يُعين أفراد الطبقة العاملة بواسطة صفقات تجارية، كاتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية (نافتا)، ثم تُحارب الهجرة وتقمعها، عندما يأتي الناس فارين من المكسيك بسبب مستويات المعيشة المستحيلة التي أوجدتها مثل هذه السياسات والاتفاقيات. أما أولئك الذين يحاولون البقاء على قيد الحياة، ويحاولون تربية أطفالهم، فيوصفون بأنهم غير قانونيين. وفي المحصلة، لا توجد وسيلة للفوز في ظل الرأسمالية.

أصبح من الشائع نسبيًا أن يكون في أفلام هوليوود الكبرى عضو ثري من الطبقة البرجوازية. من سوبرمان إلى جيمس بوند، فإن مجاز الملياردير الشرير شائعة جدًا. إذ تُرسم هذه الشخصيات دائمًا بطريقة ضحلة للغاية. وعلى سبيل المثال، في فيلم "الجوكر" Joker، بدت شخصية الملياردير توماس واين Thomas Wayne كرسم كاريكاتوري لدرجة أنّه يظهر على الهواء مباشرة ويطلق على الطبقة العاملة لقب "المهرجين".

إن تصوير الأغنياء والأقوياء ليس بعيدًا عن الحقيقة بالتأكيد. كما رأينا من دونالد ترامب وآخرين، من المؤكد أن الطبقة السائدة لديها ازدراء عميق لأولئك الذين يضطهدونهم. ومع ذلك، فإن هذه الصور تأتي بنتائج عكسية، لأنّها تصور الملياردير الشرير باعتباره شريرًا في اختياراته، لأنّه يقوم بأعمال شريرة، وليس بسبب موقعه في المجتمع. بعبارة أخرى، يمكننا أن نتخيل، في عوالم هذه الأفلام، عضوًا من الطبقة الحاكمة يمكن أن يكون بطلاً إذا التزم ببساطة بالقانون الأخلاقي الصحيح. ويعد أبطال الفيلم الهزلي، مثل، بروس واين وتوني ستارك وأوليفر كوين، أمثلة على الملياردريات الذين يمكنهم أن يصبحوا أبطالًا من دون التخلي عن ثروتهم، وذلك ببساطة من خلال امتلاكهم لقواعد أخلاقية وشخصية قوية.

أغنياء لكن طفيليون

ما يظهره فيلم "طفيلي" هو أن القضية الأخلاقية الأساسية مع البرجوازيين لا تتمثل في أنّهم يتصرفون بشكل سيء في سياق العلاقات الشخصية، ولكن موقفهم في المجتمع مبني على ظهور الطبقة العاملة. العائلة الثرية في فيلم "طفيلي" ليست مزعجة ويبدو أنّها ذات نوايا حسنة إلى حد ما، وغير مدركة بأن الامتيازات التي يمنحها المجتمع، تؤدي بشكل مباشر، إلى اضطهادهم غير المتعمد في كثير من الأحيان، لمن لديهم مزايا أقل.

لنقتبس مشهدًا مؤثرًا في الفيلم: إنّهم أغنياء لكنهم ما زالوا لطيفين. هم لطيفون لأنّهم أغنياء.

يتحدى الفيلم فكرة الطفيليات ويطلب من المشاهد التفكير في من هو الطفيلي في العلاقة بين الفقراء والأغنياء. نرى عائلة واحدة ـ عائلة كيم ـ تعمل بجد واجتهاد وذكية، ومع ذلك تُصنف على أنها طفيلية لأنّها مجبرة على الاستفادة من الآخرين.

في مقابل ذلك، لا تفعل اعائلة الثرية سوى القليل من أجل نفسها، إذ يقوم الآخرون بالطبخ والتنظيف لهم، ورعاية أطفالهم، وقيادة السيارة من أجلهم. يعترف الفيلم بأنّ الأغنياء هم الطفيليات الحقيقية، الذين يعيشون على عمل الفقراء، لكنّهم يدّعون أنّهم بنوا أنفسهم بانفسهم.

في أحد المشاهد، يعود آل كيم إلى منزلهم في الحي، فيجدوا الطابق السفلي مغمورًا بمياه الأمطار ومياه الصرف الصحي. وفي لقطة أيقونية، تستسلم الأخت لمحاولة إنقاذ ممتلكاتها وتدخن سيجارة أثناء جلوسها على المرحاض.

ومع تعرض مدن مثل جاكرتا للفيضانات، فإن هذا يقودنا إلى النقطة التي يعاني منها الأفقر والأكثر اضطهادًا، لأن الأغنياء يتعرضون للإزعاج إلى حد ما، بسبب الطقس القاسي وضعف البنية التحتية. ونظرًا لكون أبناء الطبقة الوسطى خدمًا للأثرياء، يصبح ألأمر مرهقًا واستفزازيًا، ففي الوقت الذي تتسوق فيه عائلة باركس الثرية في غفلة، من أجل حفل ابنهم المدلل، يتعين على عائلة كيم النوم في مأوى مع ضحايا الطوفان الآخرين.

محاربة العدو الحقيقي

أحد الجوانب الأكثر إثارة للجدل في الفيلم هو كيف، عندما يتم الكشف عن العائلة الثالثة التي تعيش في المنزل، لا يتعاون آل كيم معهم للتصدي للمالكين. إنّها واحدة من أذكى الأفكار في الفيلم، مفادها، إذا توحدنا، نحن الطبقة العاملة، يمكننا بسهولة هزيمة الرأسماليين. لكننا منقسمون بسبب التمييزات التعسفية التي وضعها الرأسماليون لتقسيمنا. نحن مستعدون للتنافس ضد بعضنا البعض للحصول على الفتات من موائد الأغنياء.

في "طفيلي" يمكننا أن نرى هذا الصراع يأخذ شكل عائلتين مختلفتين تتقاتلان على غرفة واحدة صغيرة في الطابق السفلي في قصر ضخم. هناك ما هو أكثر من كافٍ للتجول فيه، لكنّهم لا يستطيعون رؤية ذلك لأنّهم ما زالوا يتصرفون ضمن حدود الموقف الذي وضعهم به الرأسماليون.

يتحدث الرأسماليون الأثرياء عن رائحة آل كيم. هذه الرائحة التي تطارد أبطال فيلم "طفيلي" ولا يمكن التخلص منها. إنّها رائحة الفقر، وهي تطارد هذا الفيلم. لقد انتشر "طفيلي" لأنّه يمس شيئًا نفهمه جميعًا بشكل أساسي، وهو أن الرأسمالية خلقت طبقة حاكمة تأخذ منا لإثراء نفسها، فاصبحنا جميعًا عالقون في علاقة طفيلية مع الرأسماليين.

يقول المخرج بونغ جون هو عن الفيلم: "في خضم فوضى الاستغلال، يمكننا أن نجد عائلة تكافح، وتخوض معركة من أجل البقاء، ويطلق عليها صفة "طفيليون"، ليس لأنّهم كذلك في حقيقة الأمر، لكنّهم جيراننا وأصدقاءنا وزملاءنا الذين تم دفعهم إلى حافّة الهاوية".

وكتصوير لأشخاص عاديين يقعون في فوضى لا مفر منها، يُعَد هذا الفيلم كوميديا من دون مهرجين، ومأساة بدون أشرار، إذ يلتقط بذكاء وحذاقة العلاقة الطفيلية على طبيعتها بين الرأسماليين والطبقة العاملة، ويتخيل الانهيار المتهور الذي سيحدث عندما تكف الطبقة العاملة من كونها مطية للطبقة الحاكمة.

جوليا والاس
صحفية وناقدة سينمائية مساهمة في برنامج "صوت اليسار"، وناشطة اشتراكية ثورية خدمت في مجلس الحي المركزي الجنوبي في لوس أنجلوس، ضد وحشية الشرطة ودفاعًا عن حقوق السود والنساء والمهاجرين.

مخرج الفيلم بونغ جون هو

لقطة من الفيلم لعائلة آل كيم.

لقد انتشر الفيلم لأنّه يمس شيئًا نفهمه جميعًا بشكل أساسي: هو أن الرأسمالية خلقت طبقة حاكمة تأخذ منا لإثراء نفسها.

الفيلم الكُردي "بلدي بلد الفلفل الحلو"

اختلاط مفاهيم شرف العائلة والكبرياء والعادات والتقاليد

متابعة: الطريق الثقافي

يُعين بطل حرب سابق كُردي مأمورًا في بلدة مسالمة، حيث لا يجد أي فائدة من وجوده أو عمله كحارس للقانون، وبينما هو يفكر بترك وظيفته يائسًا، يصله قرار نقله إلى بلدة حدودية تقع على مثلث الحدود العراقي الإيراني التركي، وهي بمثابة قرية خارجة على القانون، فيوافق على ذلك. لتبدأ دراما الصراع والعشق والتحديات التي يجسدها فيلم المخرج العراقي الكُردي هينر سليم.

يبدأ المشهد الافتتاحي للفيلم، بتعليق يرافق مشهد الخلفية المبهرة لطبيعة كُردستان الساحرة، منفذ ببراعة، ويتوضح للمشاهد بأن بطل الفيلم "باران" (يلعب دوره الممثل كوركماز أرسلان)، المقاتل السابق من أجل الحريّة، يتمركز الآن كضابط شرطة في إحدى البلدات الآمنة، وعلى الرغم من أن الأمر كان لطيفًا وهادئًا، إلّا أنّه يقرر التخلي عن وظيفته. ومجرد عودته إلى قريته الصغيرة، سرعان ما تلتهب الأرض تحت قدميه من جديد، حيث تبدأ خطط والدته وقريباته لتزويجه (مع الكثير من المشاهد المرحة)، الأمر الذي يجبر "باران" على العودة إلى وظيفته في الشرطو من جديد ليبتعد عن أجواء القرية والتخلص من التقاليد الاجتماعية.

في أربيل، يكتشف أن وظيفته السابقة لم تعد متوفرة، وتُعرض عليه وظيفة ضابط شرطة في قرية حدودية تدعى "قمريان" ، وهي بمثابة منفى منعزل، إذ تقع في واد صغير حيث تلتقي حدود إيران وتركيا والعراق.

في الطريق، يعثر "باران" ومساعده "ريبر" على "جوفيند" الجميلة (تلعب دورها الممثلة الإيرانية غولشيفته فراهاني)، التي تعود ـ على عكس رغبة والدها وأخوتها الكثيرين والمتشددين ـ إلى العمل كمعلمة في مدرسة تلك القرية المعزولة.

وسرعان ما يتعلم "باران" العادات المحلية، بعد أن يستدعيه الزعيم المحلي "عزيز آغا" الذي يعرض عليه الحماية، ويحذره، من التشدد في إنفاذ القانون، لأن سلفه قد قُتل، بسبب عناده وعدم تفهمه. يرفض "باران" الخضوع للتهديدات والتحذيرات، ويقرر مواجهة الفساد وعصابات التهريب. أنّه يريد فقط الاستمرار في أداء وظيفته كرئيس للشرطة، وهذا ضد رغبة العشيرة المهيمنة في المنطقة ورغبة قادتها البغيضين الذين يحاولون أيضًا تغيير رأي "جوفيند" والضغط عليها لترك التعليم من دون هوادة. من الواضح أنّه لا يوجد مكان لهذين الدخيلين الغريبين داخل مجتمع تلك القرية الصغيرة، التي يتوفر فيها هاتفان فقط، الأوّل في مركز الشرطة، والآخر في المطعم الوحيد، حيث تحاول "جوفيند" الاتّصال دائمًا برئيس الشرطة عندما تتعرض للتهديدات.

عندما يقاطع الأطفال المدرسة بدفع من ذويهم وتحريض من زعماء العشيرة، يأتي إخوة "جوفيند" بعد أن تصلهم الأخبار والقيل والقال الذي سمعوه بشأن تواصل أختهم مع ضابط الشرطة، وتتحطم معنويات معلمة المدرسة المتمردة بطبعها، لكن لحسن الحظ، فأنّ "باران"، رجل الأمن النزيه والمتحدي للفساد والتخلف، يقف إلى جانبها.

يقدم المخرج هينر سليم فيلمًا أنيقًا بعنوان "بلدي بلد الفلفل الحلو" عن عن مجتمع القرى المعزولة التي لا نعرف عنها الكثير حيث تنتشر الكثير من المفاهيم المتناقضة، مثل شرف العائلة، والكبرياء، والعادات المحلية، والتمرد، والمرأة المستقلة.

الفيلم أُختير ضمن فعاليات Un Certain Regard الرسمي في مهرجان كان السينمائي قبل سنوات. وهو من الأفلام شبه الكوميدية ذات المسحة السياسية المريرة.

لقطة من فيلم "بلدي بلد الفلفل الحلو" يظهر فها بطلا الفيلم. وفي الإطار مخرج الفيلم هينر سليم.

بلدي بلد الفلفل الحلو
إخراج: هينر سليم | 95 دقيقة | دراما | الممثلون: كوركماز أرسلان، جولشيفته فرحاني، سوات أوستا، مير مراد بدرخان، فيباز دومان، طارق عكريت، فيرونيك ووتريش

لمشاهد تريلر الفيلم:
https://www.gids.tv/film/my-sweet-pepper-land

محاضرة في كاليري حامد سعيد عن معرض الرسام طاهر حبيب (حياة صاخبة)..

خالد خضير الصالحي

يتجنب طاهر حبيب، هيمنة الهوامش السردية الـ (خارج مادية) في فعالية الرسم على عملية التلقي، حرصا منه على ابقاء الصورة المرسومة معتمدة على وسائلِها الخاصةِ؛ وتقليص حاجتها إلى التأويل

طاهر حبيب

- مواليد البصره 1953
- بكلوريوس رسم ـ فنون تشكيلية
- عضو نقابه الفنانين
- عضو جماعة التشكليين العراقيين
- عضو جماعة أبسو تشكيل ـ بغداد
- معرض شخصي 2005
- معرض شخصي 2009
- معرض شخصي 2012
- معرض شخصي 2016
- معرض جماعة أبسو تشكيل ـ بغداد
- معارض الفنون البصرية ـ بغداد
- معرض الواسطي ـ بغداد

ماديَّة الأحلام الصاخبة

نحن مقتنعون بأن العمل الفني في جوهره اشتغال تقني على مادة ما، وهذا ينطبق على الفنون الأخرى بما في ذلك فنون الكتابة، ونؤمن كذلك بأن (المنجز المتحقق) هو المرجعية الأولى والاهم وربما الوحيدة التي تخضع للمساءلة، في التلقي، وفي المقاربة النقدية.

لكننا من باب الاعتدال، نوافق على ما كتبه الدكتور (فؤاد زكريا) في مقدمة ترجمته لكتاب (النقد الفني دراسة جمالية) لجيروم ستولينتز، بأن افضل الخيارات هي تلك التي يركز فيها المرء انتباهه على العمل الفني بالدرجة الاساس، على ان لا يغفل استغلال العناصر الخارجية التي نسميها في كتاباتنا العناصر الـ (خارج مادية)، لذلك نحن نستأنس أحيانا ببعض اراء منتج العمل الفني؛ ليس باعتباره منتجا (عارفا) اكثر من غيره، بل باعتباره (متلقيا)، هذا اذا تطابقت تفوهاته اللفظية مع منجزه المتحقق، وتطابقت مع رأينا.

لذلك اعتبرنا الرسام طاهر حبيب من المؤمنين بأن جوهر العمل الفني هو وجوده الشيئي (المادي)، سواء استنادا الى منجزه المتحقق، او تفوهاته اللفظية.

الهامش والتأويل

يتجنب طاهر حبيب، هيمنة الهوامش السردية الـ (خارج مادية) في فعالية الرسم على عملية التلقي، حرصا منه على ابقاء الصورة المرسومة معتمدة على وسائلها الخاصةِ؛ وتقليص حاجتها الى التأويل الذي يقوّلها ما لا تقوله؛ فيتجنب ما يؤدي الى تمكين العناصر الـ(خارج مادية) من اختراق عملية التلقي وتوجيهها؛ وهو ما عزز ايمانه بأن اللوحة اشتغال لا يكترث بالعنونة كمتعاليات نصية تماثل المتعاليات النصية في الكتابة، والتي يشكلها العملُ الادبي؛ وان التمسك بالجوهر المادي للفن، وباللوحة كواقعةً شيئية (مادية) في الرسم، سيؤدي حتما الى استعصائها على العنونة بالطريقة الادبيّة، وفي هذه الحالة يكون العنوان موجِّها قرائيا (خارج مادي)؛ فقد قادنا تسلسل الأفكار الناتج من هذه القناعة الى رفض العنونة، سواء عنونة العمل الفني المنفرد، او عنونة التجربة ككل، لذلك نعتقد ان عنوان (حياة صاخبة) لا يعني الحياة المعيشة، بل حياة الوجود المادي للوحة، وبشكل أوسع الوجود المادي الكوني، بصخبه وسكونه معا، أي بالطبيعة المتناقضة للمادة، والتي اسهب في الكتابة عنها الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار في كتبه العديدة وخاصة كتاب (الماء والاحلام)، وهنا نحن لا ندعو الى تعديل العنوان الى (مادة صاخبة)؛ انما الى تلقيه بهذه التسمية.

خطر الفوضى والنظام

نعتقد ان اهم المقاربات للدخول الى عالم طاهر حبيب ثنائية "الفوضى والنظام" باعتبارهما معا الخطرين اللذين يتهددان التجربة الفنية، كما هما "خطران يواصلان تهديد العالم"، كما يقول (بول فاليري)، واستعارته (سوزان برنار) ليتصدر مؤلفها الضخم عن قصيدة النثر؛ لذا يؤسس طاهر حبيب الياته لإدارة الصراع المحتدم، بين (الحرية والسلطة)، بين (الخط واللون)، أي بين المادة باتجاهها نحو التعميق حيث يستحيل سبر الغازها، وبين المادة باتجاه الانطلاق متحولة الى طاقة لا تستنفد، ومعجزة لم يتمكن الا اينشتاين من إيجاد قانون تحولها، فلم يجد طاهر حبيب الا محاولة: قنونة او تقنين انفلات المادة، وكبح جماحها، وكبح فاعلية عنصريها: الخط واللون، لتخضعان للإرادة، والهيمنة الواعية، فيُكبح انفلاتُ اللون (عصيانُ المادة على التشكّل)، او اهمالُ التشكل، وتُخضَع العناصرُ لـ(هندسة الخط) الذي يوظفه الان توظيفا مثاليا؛ لصالح نهوض العقلنة، في الجانب الآخر، فينَصّب الخطُّ نفسَه قوةً تعقّلنُ اندفاعَ اللون، وتعيدُ التجربة لبؤرةِ التوازنِ تماما بين: النظام والفوضى، فتتألف التجربة من: (روح) نزقة فعالة، تقابلها (مادة) معقّلة، وبذلك تم إضفاء ـشرعية وجود هذين الخطرين؛ فهاتان القوتان كما يؤكد باشلار تتعاضدان وتتواشجان حتى يستحيل فصلهما على نحو كامل؛ فلا مفر للفنان هنا من الانحياز الى مقايسة، ومعايرة العناصر كلها؛ لتكون تحت ميزان دقيق ينظم صراع (العقلنة والجنون) فلا تبغي احداهما على الأخرى.

التشويه

تتميز تجربة طاهر حبيب بوجود درجة ضخمة من الـ(تشويه)، او التغيير، او التحوير في كائناته، عبر تركيب العناصر الغرائبي، وغير العقلاني، والمبالغ به لكائنات معرضه هذا، والتشويه الية قديمة في النحت وفي الرسم، فهربرت ريد يؤكد ان الانف في الواقع ليس بتلك الاستقامة التي كانت عليها بعض التماثيل الاغريقية، ولم يكن النهد مدورا كذلك في الواقع، وقد كان الوضع الأمثل في الحضارتين الرافدينية والفرعونية قمة الاتجاه التحويري المقنون لأجل بلوغ أفضل وضع لرؤية الأجزاء المختلفة للجسد البشري، ونتفق تماما مع هربرت ريد بأن درجات من التحوير قد تكون مقبولة، او يتم تقبلها "فليس من حق المتلقي ان يحتج الا حينما تنتهك حرمة الطبيعة، فمن الممكن ان يرسم خط الحاجب والانف مستقيما، ولكن لا يصح ان ترسم الساق ملتوية بشكل يستحيل تصوره؛ فالمسالة هنا تتوقف على الدرجة"، ويؤكد ريد "من المفروض ان لا تصل الى درجة الاختلاف الكامل" التي وصلتها اعمال طاهر حبيب، وهي درجة املتها رغبة الفنان بالتأكيد.

النزوع التركيبي

نحن نعتقد بوجود نزوع تركيبي، لدى البشرية، في بناء اشكال كائنات الفن، وهو يماثل النزوع الاستعاري الشعري، وان التراكيب الغرائبية التي اجترحتها البشرية تنبع من (الأنماط البدئية) او (الأنماط العليا) (archetypes)، وان حالات الوعي الفردي كافة، بنظر كارل غوستاف يونغ، تتجذر في (لاوعي جمعي) مشترك متجه نحو الأنماط البدئية ونابع منها، لان الانسان لا يحمل فقط تجاربه الفردية، بل تجارب وخبرات اسلافنا والبشرية جمعاء عبر العصور. ولا نريد ان نتوسع بالوسائل التي تتبعها (الانماط البدئية) للوصول الى المركز الداخلي للإنسان عبر: (القناع (persona) و(الظل) (shadow)، وعبر (حلم اليقظة) الذي يسميه يونغ (الخيال الفعال)، وهو ما أسهب في الكتابة فيه باشلار. لقد ركب طاهر حبيب كائناته، كما ركبت الحضارات حيواناتها المركبة بدوافع غامضة نعيدها أيضا الى النزوع الجمعي الذي له علاقة بالأنماط البدئية، وقد تكون أيضا استعادة جينالوجية تنتقل من تجربة فنية الى أخرى عبر العصور، وهي التي حركت البشرية، بطريقة سرية في كل الحضارات، ودفعتها لتركيب كائنات اسطورية غرائبية، قد تكون احلاما مسريلة يقظة، لها قواعدها وقوانينها المختلفة التي (تضبط) عناصرها، باعتبار ان قانون الاستعارة الأهم الذي يحكم هذه التراكيب الكائناتية هو التشاكل الصوري بين حقلي استعارة، وهي منطقة الامتزاج الصوري المشتركة الـ(ممكنة) التي تعطي الاستعارة شاعريتها، نعطي مثالا (يتم شرحه) لحقلين استعاريين ومنطقة تماس مشتركة (الديك بوق الصباح، شكسبير)، ولا يكترث حاملُ كبير كطاهر حبيب الى مطابقة (صور أحلامه) مع الصور التي تحيط به في واقعه المعيش، حتى وان خالفت قوانين تشريح الكائنات التي قوضتها أحلامه وهلوساته.

قد تنطبق قوانين الفن الفقير على كل مراحل تجربة الفنان طاهر حبيب كون مادة العمل الفني مكونة من الاحبار، واقلام الألوان، والباستيل، وغيرها، وكلها مواد يمتنالو ايدي الجميع، ولكن ذلك لا يعني شيئا، فأشكاله براينا تبدو منغمسة بوجودها المادي الداخلي، بعلتها المادية، وجذرها الخفي، فما نتلقاه باعتبارها اشكالا يتلقاها البصر، الا ان التي خبرت ملمسيتها وصلابتها يدُ صانعها قبل ذلك.

اعتبرنا الرسام طاهر حبيب من المؤمنين بأن جوهر العمل الفني هو وجوده الشيئي (المادي)، سواء استنادا الى منجزه المتحقق، او تفوهاته اللفظية

الروائي العراقي زهير الجزائري

الكتابة هي محاولة لترميم ذاكرتي واستعادة المكان

أثناء رحلته الأدبية، المستندة بالأساس إلى تجربته في المنافي، أنتج زهير الجزائري أكثر من 26 كتابًا أدبيًا بين رواية وبحث وسيرة ذاتية ورأي، ومنذ روايته "المغارة والسهل" يتداخل السياسي بالإبداعي، والحنق والغضب بالتأمّل والرقّة، يحول بواسطة ذلك كله، حبه للعراق وحيفه في الغربة، إلى وقود حارق يسيّر رحلته الطويلة بين معارك ونضالات المقاومة الفلسطينية الثورية والصراع مع الديكتاتورية ومن ثم أذناب الاحتلال. ووسط أمل وتفاؤل بشباب تشرين وثورتهم الخالدة، وحيف من الطغيان وتمثلاتها الجديدة، يواصل الجزائري تجربته المختلفة واللافتة. بواسطة هذا الحوار، تحاول "الطريق الثقافي" تسليط الضوء على تلك التجربة.

مولع بالتحقيقات وهي أقرب الفنون الصحفية للرواية كونها مبنية على المشاهدة الميدانية والحوار وكلاهما مهم للروائي، ما تضيفه الرواية هي اللمسة الذاتية للكاتب والغور في الشخصيات

• وأنت في العراق كتبت عن المقاومة الفلسطينية "المغارة والسهل على سبيل المثال"، لكنك سرعان ما انشغلت بالطغيان والطغاة، إلى أي مدى تتداخل هاتان الموضوعتان في أعمالك الروائية؟

تجربتي مع المقاومة الفلسطينية مرت بمراحل: في المرة الأولى وفي نهاية الستينات ذهبت كصحفي وزرت قواعد المقاومة في الأردن وسوريا ولبنان.

من هنا تداخل الصحفي والروائي. وانا قبل ذلك مولع بالتحقيقات وهي أقرب الفنون الصحفية للرواية كونها مبنية على المشاهدة الميدانية والحوار وكلاهما مهم للروائي، ما تضيفه الرواية هي اللمسة الذاتية للكاتب والغور في الشخصيات.

في المرة الثانية هي تركي للعمل الصحفي في العراق ورحيلي للبنان. معايشة المقاتلين في القواعد صارت اعمق وأطول. تطور عملي في صحافة المقامة فحصلت لأول مرة على حرية اختيار الموضوع وراديكالية التناول.

خلال هذه الفترة عشت المرحلة الأولى من حرب ايلول عام 1970 في الأردن وكانت موضوع روايتي الأولى "المغارة والسهل"، وهي أول تجربة لي تقوم على معايشة الحدث ثم الكتابة عنه. وقد تكررت هذه التجربة في رواية "مدن فاضلة" عن تجربتي في كردستان. المعايشة والانتباه ووعي التجربة تحرك في داخلي الصحفي والرائي معًا. الإحاطة بالتجربة ومتابعة مصائر المحركين والضحايا.

• تبدو أعمالك كما لو أنّها تستند إلى مرويات يومية أو يوميات مكتوبة بعمق وعناية بالتفاصيل.

الروائي لا يكتفي بالوصف وحده، فالأحداث تحرك معها خيال الروائي وحسه الإنساني. لقد عودت نفسي وتعودت على كتابة يوميات، وأحيانا في لحظة الحدث قبل أن يخفت الجمر. من هذه اليوميات تشكلت كتب:يوميات شاهد حرب عن الحرب الأهلية اللبنانية، البوليساريو عن الحرب في الحدود الجزائرية المغاربية كتبته مع الراحل فالح عبد الجبار، "أوراق جبلية" عن تجربتي في كردستان، "حرب العاجز" عن عودتي الى العراق، "يوميات الأمّ والغضب" عن تجربتي مع ثوار تشرين.. في كل هذه الكتب حاولت الجمع بين السيرة الشخصية، وهي ليست شخصية معزولة عن الذين يشاركونني المصير، لأنّها سيرة الحدث بما فيه من مجموعات. وبين الريبورتاج الصحفي واللمسة الذاتية.

• في كتابك الشيق "أنا وهُم" انشغلت كثيراً بالطغاة، كذلك في كتابك الآخر "يوميات الأمّ والغضب". إلى أيّ مدى أثّر هذا الانشغال على تجربتك؟

الدكتاتور كان شاغلي لفترة 12عاما متصلة هي عزّ نضوجي. بدأ هذا الانشغال من مشهد في النصف الثاني من العام 1979. خرجت من البيت لأتسوق، فقطع طريقي طابور طويل من اطفال يرتدون ملابس المغاوير ويمشون على إيقاعهم وهم يرددون "بالروح، بالدم..."! رأسا تولد عندي انطباع مجاور لليقين، نحن ذاهبون لتأسيس دولة على النمط الفاشي. أبرز علاماتها عسكرة المجتمع، ابتداء من الأطفال. هذا اليقين لازمني وأنا أتابع صعود الفرد الواحد من خلال الحزب الواحد. من أوّل سنواتي في المنفى انشغلت بمتابعة هذا الصعود بالترافق مع عسكرة الدولة، ومن هذه المتابعة كتبت "المستبد" كأوّل دراسة عن صعود الدكتاتور العراقي. أثناء ذلك بدأت بكتابة روايتين هما "حافة القيامة" و"الخائف والمخيف". ثم رواية قصيرة لاحقة "وراء الرئيس الهارب". ومن وحي الربيع العربي كتبت "هكذا عرفتهم" عن الدكتاتوريين الذين أسقطهم الربيع العربي. في جميع هذه الكتب حاولت أن أميّز بين الدكتاتور العربي ودكتاتوريات أمريكا اللاتينية، رغم تشابه آليات الصعود التي جمعتهم. نعم تجربة بلداننا العربية تقول بان الدكتاتور لا يجف لوحده، إنما بدورة عنف تؤدي لدمار البلد، وإن الدكتاتورية لن تنتهي بسقوط الدكتاتور التاريخي، انما سيرثه الأبناء من الدم أو من العقيدة.

• لا تكاد تنفك من السياسة والحرب في أعمالك الإبداعية، كما قرأنا في "المستبد" صناعة قائد صناعة شعب"، "حرب العاجز"، "أنا وهُم"، هل أنت روائي سياسي أم سياسي روائي؟

صحيح، الحرب والسياسة ينتظمان معظم أعمالي. زمنيًا ولدت في عز الحرب العالمية الثانية ومكانيًا ولدت في المنفى حيث أُبعد والدي من مدينته النجف إلى سدّة الهندية بسبب تعاطفه مع رشيد عالي الكيلاني. كلاهما، الحرب والمنفى شكلا حياتي اللاحقة. لم أختر الحرب كموضوع بين مواضيع عدة طرحت عليّ. إنما فرضا عليّ كما على غيري من الكتّاب العراقيين. حين أراجع التاريخ الذي عشته، وهو تاريخ جيلي، ستتكرر متتالية ثابتة: انقلاب يزيحه انقلاب معاكس، ثم انقلاب على المنقلبين، وبين الإنقلابات، حرب تلد أخرى. هذه الإنقلابات والحروب رسمت خارطتي النفسية. حين أريد أن أتعرف على ذاتي وأنا أكتب يومياتي، اتيه وأتيّه نفسي في شبكة من العلاقات بعائلتي بأهل مدينتي بزملائي الكتّاب ورفاقي في الحزب. أنا ذاتي وكل هذه العلاقات. والرواية هي حصيلة الاثنين. في داخلي دائما سياسي، ولا أعني السياسي المحترف المهيأ للزعامة وقيادة المجموعات، إنما ببساطة لا استطيع ولا أفهم كيف يمكن لكاتب حساس أن يتجاهل الكوارث التي تشمل الجميع، ومنهم أهله. لقد عشت حياتي معارضًا لسلطة لا أريد أن أحل محلها ولا أن اكون جزءًا منها لكنّني أعرف أنّها تتحكم بأجساد الناس وأنا منهم، تتحكم بوعيهم وصحتهم، تتحكم بحياتهم أو موتهم. حين رايت في الفيديو شلة من رجال السلطة المسلحين يحققون مع صبي أصغر من أولادي، يهينون أمّه وهم يحلقون شعره، خرجت إلى الشارع وأنا أعض لساني مزمعًا على أن أقتل اي شخص أصادفه لا على التعيين. لم أفعلها طبعا، لكن ما يمسّ الآخرين يمس ذاتي في الصميم.. هكذا خلقت وهكذا علمتني الحياة ومنها تجربتي السياسية.. بهذا المعنى أنا سياسي وروائي معاً.

لم أختر الحرب كموضوع من بين مواضيع عدة طرحت عليّ. إنما فرض عليّ كما على غيري من الكتّاب العراقيين..

• على الرغم من أن الغربة أثرّت تجربتك الإبداعية بعمق، لكنّك بقيت مشدودًا إلى النجف الذاكرة والبدايات، ما الذي تمثله لك تلك المرحلة؟

أريد أن افهم سؤالك "الغربة أثرت على تجربتك بعمق"! غربتي لم تكن واحدة، وإنما ستة مناف. وفي كل منفى اقتلاعات أصغر، لكنّها لا تقل وجعاً: عشرة بيوت في لبنان، ستة في سوريا، يضيع مني عدد البيوت والخيام التي غادرتها في جبال كردستان العصية، منها بيت معلق على غصن يوشك أن يمس مجرى الماء في نهر جارف. وللمنفي الذي عاش حياته بعيدا عن سمائه الأولى وتحت سماوات مختلفة دون أن يجد الوقت لينشب جذوره في بيئة راسخة سيشكل المكان الأوّل غواية كبيرة يستحق أن يكون موضوعًا بذاته ولذاته، وليس موضوعا بين الموضوعات أو علة بين العلل. كثيراً ما يخرج الروائي عن السياق وينصرف للمكان بذاته، تماما كما يبكي الشعراء الكلاسيكيون على الأطلال. أنّها عملية بناء لمظهر جديد من هيجان عصبي ينشط ثانية ولكن ليس مطابقاً للأوّل، يرافق الذكرى شعور بالانزعاج، إعادة بناء التجربة. لكن لبناء شئ آخر. أردت أن أنفي منفاي وأنا أبدأ الكتابة. أنا هنا في المقهى المطل على شارع Uxbridge Road بلندن. أرى من وراء الزجاج حركات الناس المربكة تحت زخة مطر. في الوقت نفسه أهيئ في ذاكرتي مسرحًا للحدث. أذهب للبيت الأوّل الذي عشت فيه طفولتي وصباي مخترقًا المكان الحاضر والزمان الفاصل بإرادة مسبقة. لن تأتي التفاصيل طيعة. ففي لحظة التذكر أعيش ازدواجية كوني هنا وهناك. الكتابة تنقلب مع هذا الوجود المقلوب. أعتقدت أنّ الكتابة هي تجميع الماضي لحفظه في الحاضر. كيف يمكنني أن أعيد الماضي الى خزائنه الأولى. أبدأ من نقطة أعرفها: من زقاق طويل تتقارب غرفه العليا حد التلامس من الجانبين فتشكل على ارضه ظلاً كثيفًا يقي السائرين من شمس حادة ومغبرة. أعرف زقاقنا وأحسبه بيتا بيتا. لكل بيت حكايته. أتصفح البيوت وأنا ماش وربطة الخبز فوق تنقل لي حرارتها. الشرخ الآخر خارج ذاكرتي، شرخ في المكان نفسه، فقد عدت حين عدت إلى مدينة أخرى. لم أجد البيت ولا المحلة. لقد أزالتها الجاروفات. الكتاب هو محاولة لترميم ذاكرتي واستعادة المكان وهو حفر في المكان الجديد المشوه للعثور على ذاكرتي فيه.

• في كتابك "يوميات الأمّ والغضب" اقتربت من زهير الجزائري الصحفي أكثر من زهير الجزائري الروائي، هل تتفق مع هذه الرؤية؟ وكيف تقيم تجربة تشرين الخالدة بالنسبة لمستقبل العراق، كونك أحد المساهمين ميدانيًا فيها؟

الصحفي كامن في داخلي. عمره قارب الستين. لا أستطيع أن أنحيه من حياتي. خلال شهرين ونصف في ساحة التحرير كنت أذرع الساحة طولا وعرضاً. الصحفي يمشي إلى يساري، يجمع المشاهد بتعمد، ويتيح للروائي على يميني أن يسجل انطباعاته. المشهد متعدد الزوايا بعين السيميائي. يستطيع ان يراه من الطابق 14 في المطعم التركي فيرى الحشد الهائل، مختلف تماما عن الحشد الذي جمع ليسمع خطاب القائد. هذا حشد مزيج من حريات فردية وحشد جماعي باتّجاه الحريّة. كل واحد يغادر هويته الفرعية، يغادر عائلته وعشيرته وطائفته ويكتسب هويّة جديدة باشتراكه مع جمع يحمل المطالب والأحلام نفسها. تنزل من العمارة إلى الساحة فتكون واحدًا من كل. تفصل نفسك نسبيًا عن الحشد لترى وتسجل. وأثناء ذلك، تدخل خيم المعتصمين لتتحدث لأفراد تنتقيهم فتسمع خطابا يناقض انطباعك، فتجدد معارفك من خلال الجدل مع الآخرين. العملية تتطلب وقت وأنت لست مقيدًا بموعد محدد لتسليم مقال. حريتك في الزمن تبعدك بضعة أمتار عن الصحفي. أنت تكتب في دفتر يومياتك ولك الوقت لتصحح فكرتك وتنضجها. تتجدد الكتابة وهي تنقلب على نفسها.. هكذا عشت الحدث وأنا فيه. أراه مرة بعين الراصد الصحفي ومرة بعين المتأمّل الروائي وثالثة بعين السينمائي الباحث عن اكثر الزوايا رمزية. لكن في جميع الحالات، ينضج هذا الرجل التائه في الحشد وهو يجدد نفسه وينفيها وهو مكان الحدث. إنتهى الحدث بدخول السلطة إلى الساحة، وهذا "إنجاز" يُحسب للكاظمي، الذي خسر نفسه ورصيده السياسي. لكن حين انفض عن نفسي رماد التشاؤم، وأنظر إلى لحدث بعين الرائي، سأرى فيه رصيد مؤثر على مستقبل البلد. الجيل السياسي الذي يحكم البلد حاليًا قارب الثمانين ولا تزيد نسبته عن 3 % من السكان، سيُزاح من الخارطة ومن الحياة غير مأسوف عليه في عضون أعوام قليلة، في حين سيبلغ جيل الانتفاضة الثلاثين، وهي فترة الخروج من الغضب إلى نضوج العمل السياسي..

هنا يكمن تفاؤلي.

شرفات..

السفر والإبداع

تماضر كريم

ثمّة لذة ما في تغيير الأمكنة. لكن الكثيرين لا يكتشفونها، يقضون أعمارهم متشبثين بأمكنتهم. منازلهم..مدنهم ..أوطانهم، هم أنفسهم أولئك الذين يرفضون تغيير نوع الطعام، والوان ملابسهم وسائر التفاصيل.

مع الأدب، والفن، لا يمكن أن تكون خلّاقاً من دون تجربة التغيير. هنا أنا أتحدث عن الأمكنة وسحرها وما توفره للكاتب من زخم معنوي روحي عاطفي جبار. وما تشحذ فيه العقل من أفكار ملهمة.

الأديب رحالةٌ دائم، من دون تذكرة سفر، وصخب المطارات وأزيز محركات الطائرات، وصرير الحقائب ووقع الخطى هنا وهناك، لكن رحلاته الروحية تلك، لن تكتمل من دون حواسٍ تشمُّ عبقاً مختلفاً، وتتنفسُ هواءً مغايراً، وترى وجوهاً أخرى غير تلك التي ألفها، وتجرب نكهاتٍ، وأزياء، وترتاد مقاهٍ ومسارح، وتستشعر طقساً، وتمارس طقوساً، وتتسكّع في شوارع غريبة.

هكذا فقط يستطيع الأديب أن يمنح خلاياه، وحواسه، وذاكرته، وقود الفن.

السفر أعظم سياحة روحية للخيال، بكل ما تقدمه تجربة الترحال من نجاح وإخفاق، من مرارة ربما، ومن فرح، من ألم فراقٍ ومن عودةٍ ولقاء.

كان طريق الحرير الذي سلكه الأجداد بداية حكاية التحليق. بعيدا عن تلك البيئة الجافة المتصحرة القاسية الخشنة. نعم كتب أجدادنا المعلقات، وكانت تحمل كمّاً هائلاً من الجمال، لكن ثمة شيء ما ينقص روح الشاعر، والكاتب العربي، شيء يتعلق برؤية مغايرة، أكثر شفافيةً، وتمدناً، وانطلاقاً في عوالم مبهرة.

عَبَر العرب البحار، فامتزج سحر الشرق بالغرب، وأصبح للكتابة العربية طابعاً شديد الجمال، والألق، فوُلدت الموشحات، والمقامات، وأصبح الفن العربي جامحاً، لا تقف في وجهه حدود التقليد.

نحن الآن في عالمٍ متسارع، هل يستطيع الفن، بعدّته من الخيال واللغة، أن يجاريَ ما يحصل من نقلات في مجال الإتصالات مثلاً؟ أو مجال الطب؟ أو مجال الطرق والجسور، والأدوية، والمعدّات الثقيلة، والنقل، و....؟ أعرف أن البعض يظن أن لا مناسبة للمقارنة بين تطور التكنولوجيا وبين تطور الفن، وبالتالي بين الموضوعين والسفر! في الحقيقة أن هذه المفاهيم مترابطة بشكل عجيب، فالفنان هو ظل الحياة بجميع تداعيلتها، وكل فنان هو صنيعة مجتمعه وهو أيضا صوته الداخلي وضميره الحي، وهذا يستدعي منه أن يكون فاعلا، مؤثرا، يملك عدّته، وإلّا سحقته عجلة العالم التقني التي لن ترحم شاعراً خاملاً، أو كاتباً متقاعساً. لذا ينتبه الفنانون الأحرار إلى أهمية كسر القيود، والتحليق، لكي تكون الكلمة واللوحة والأغنية والنوتة، في وضعٍ موازٍ تماما للآلة. اللغة وحدها لن تسعفنا، ولا أي وسيلة فنية بمعزلٍ عن السفر، لكنه ليس سفرا جغرافياً فحسب! إنه للفنان زاد معرفي، عين مرهفة تُبصر ما لا يبصرهُ الآخرون، وقلب حساس يخفق، ويهفو، ويحنُّ، ويتسامى مع المشاهد والتجارب، فيبدع وينتج.

لا تهمني فوائد السفر التي وردت عن الأثر! كل الفوائد التي يأتون على ذكرها قد توفرها مصادر أخرى. ربما قراءة كتاب، أو معرفة شخص جديد، أو موقف ما قد نمرُّ به، لكن السفر الذي أعنيه، هو ذلك الذي نضيع فيه برغبتنا في مدن لا نعرفها.

شاهدتُ مسافرين يتعبون باحثين عن أكلات بلدانهم! حزنتُ لأنهم ضيعوا على أنفسهم لذة الإكتشاف، ثم عذرتهم، لأنهم ليسوا فنانين!

لا عزاء ولا عذر أبداً لفنانٍ لا يعيش تجربة السفر ويعتصرها حتى آخر قطرة من الإكتشاف، فتكون الحصيلة، قصيدة، أورواية أوقصة، أوكتاب رحلات، أو حتى مواقف يدونها فيجعل العالم أكثر جمالاً وبهاء.

بمناسبة ذكرى رحيله الثالثة

أحمد الباقري وتعاليمه.. الانحياز إلى الفكرة والمكان

بقلم الشاعر الراحل كمال سبتي

في كل مرة أنوي الحديث عن حياتنا الأدبية في مدينتي الناصرية وبخاصة منذ سنواتِ سبعينياتِ ما قبل السفر الدراسيّ إلى بغداد فإني أتجنبه متذكراً أخاً كبيراً لي ومعلّماً من معالم مدينتنا: القاص والروائي والكاتب المسرحي والناقد والشاعر والمترجم والفنان: أحمد الباقري، وأقول لعله يبدأ هو فيأتي حديثه أغزرَ في التاريخ والوقائع إذ أنه سيبدأ من نقطة في الزمن هي غير النقطة التي سأبدأ منها حتماً ولأنه ابن المدينة وأديبها بالواقع الحيّ اليوميّ، بينما أنا ابنها بالحنين والتذكر.

وقد بقيَ الكلام عن أدبنا في الناصرية وأيامنا الأدبية ومقاهينا حقلاً غير مشتغَل فيه كثيراً جرّاءَ خشية مبرَّرة عند أيّ جريءٍ من خارجنا - حتى إن كان أكاديمياً ذا منهج - من أن يكون معتدياً علينا وعلى تاريخنا الروحيّ.

ونحن أدباءَ المدينة وُلدْنا في أجيال مختلفة فكان كل جيل سابق يريي الجيل اللاحق في جلسة حديث في مقهانا الأدبي "مقهى أبي أحمد" أو في لقاءٍ في المكتبة العامة أو في مجالسة متجاورة في صالة ثقافية.. أو في صف مدرسةٍ.. أو.. أو..

وإذ تختلط الأسماء والأجيال في لجة الوقائع المتشابهة والمختلفة واختيار المصائر بعيداً عن المدينة ومركزها الأول فيُعرَفُ أن عدداً من أدبائها غادرها مثل الراحل "عبد القادر رشيد الناصري.. من مواليد كركوك جاء الناصرية وغادرها" والراحل حامد العزي "من مواليد العمارة ومتوفّ في المغرب" والراحل قيس لفتة مراد والراحل عناية الحسيناوي والراحل خالد الشطري والراحل كاظم جواد والراحل الشهيد عزيز السيد جاسم والراحل محسن إطيميش وصلاح نيازي وعبد اللطيف إطيميش وعبد الرحمن الربيعي وعبد الرزاق رشيد الناصري وعزيز عبد الصاحب ومحسن الموسوي وفاضل عباس هادي وشوقي عبد الأمير وحسن الخياط وغيرهم

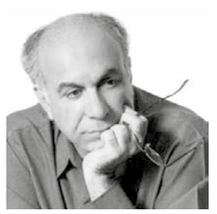

فإنَّ اسمين من أدباء المدينة بقيا في المدينة في تلك السنواتِ مرتبطين بها أشدَّ ارتباطٍ وممثليْ جيليْن متعاقبيْن ومؤثريْن سبقانا.. هما: الشاعر "الخمسينيّ" الراحل رشيد مجيد والقاص والمترجم "الستينيّ" أحمد الباقري.*

ولأن مناسبة المقال حديثي عن أحمد الباقري فسأترك مثله عن المدينة إلى قدرٍ آخر.

كانَ أحمد الباقري يقول "عرفت كمال سبتي وهو ابن أربعة عشر عاماً" فيصلني قوله وأنا في بغداد في السبعينيات والثمانينيات فأضحك وأتذكر تعرّفي إليه في تلك السن وجلساتنا في ما بعدُ في مقاهي المدينة ومنها مقهانا الأدبيُّ: "مقهى أبي أحمد" وسطَ سوق المدينة..وقد كان مقهىً فقيراً بأثاثه وأغراضه، وأرستقراطياً بالمرحوم أبي أحمد وترفعه على زبائنه مناكدةً.

حين كنت أدخل إليه كالتلميذ وقد كنت تلميذاً حقاً فقد كان "أبو أحمد" يتفحصني ملياً، ويضع استكان الشاي أمامي قائلاً بنبرة جادة: شايك ابني. وفي ما بعد حين رأى أن الراحل رشيد مجيد يهتم بي وكذلك أحمد الباقري ويقدم لي كتباً وغيرهما من الأدباء اقتنع أبو أحمد بأن التلميذ هو "مشروع أديب" في تلك السلالة فأخذ يهتم بي هو الآخر.. ويمازحني بين الحين والآخر علامة على ترحيبه بوجودي.

كان مقهى أبي أحمد مهاباً من بقية صحبي بسبب طابع أديّ جادّ فيه فلا يدخلونه فينتظرونني في مقهى شعبي آخر.

هيبة أتذكرها في الحديث فيه عن مواقف أدبية صارمة مثل انتحار مايكوفسكي أو "رفضِ سارتر تسلّمَ جائزة نوبل".. أو رفضنا نحن موقفَ جون شتاينبيك المؤيدَ حربَ فيتنام في تضاد مع رواياته التي قرأناها كـ"عناقيد الغضب" و"اللؤلؤة" و"أفول القمر" و"شرق عدن" و"رجال وفئران" و"البحث عن إله مجهول" و"شارع السردين المعلب"، بل وحفظت أنا شخصياً أغنية عن "توم جود" بطل "عناقيد الغضب" غناها تروتسكيون أميريكيون كانوا اتخذوه بطلَهم:

Tom Jod
We need your words
We need your fingers
We need you

فكان ينمو كل موقف في وعينا رفضاً أدبياً للجوائز ومسابقاتها أو الكتابة الدعائية عن حرب أو عن قائد سياسي حاكم مهما كان. فالموقف الأدبي أرقى من كل موقف وأولى منه.

مواقف وتاريخ

مواقفُ بل تعاليمُ صعبة تبناها أدباء المدينة وخانها ضعفاؤهم في ما بعد أمام دنانير الجوائز والدكتاتورية.

ولقد عاش متبنوها حياة شقية في بغداد وفي الناصرية وفي كل مكان وصلوا إليه.

وكان أحمد مثالاً منهم. وحين كنا نستذكره في بغداد أنا وصديقي الشهيد عزيز السيد جاسم كنت أقول لأي خولة: هو في الناصرية وأنا في فنادق بغداد.. وبيننا عهد على ألاّ نتلوث بدنانير الجوائز والدكتاتور.

رفضَ أحمد الجوائزَ ومسابقاتِها الحربية الدعائية ولم يكتب عن "القائد" فعمل بائعَ تذاكرَ في إحدى دورَي السينما في الناصرية أيام الحصار ثم بائعَ سجائرَ على الرصيف ينسى هدفه التجاري فيوصي الزبون بضرورة إقلاعه عن التدخين، على الرغم من أنه كان "ومازال" مدخناً شرهاً أولاً وبائعَ السجائر تالياً!

وحين كانت تصلني أخباره بعد هربي من العراق وأنا في يوغسلافيا أو في قبرص أو في إسبانيا أو في هولندا فلا أفعل أكثرَ من تذكّرِ سنواتِ الشقاءِ في الفنادق الرديئة ببغداد حتى لا أكتب أدباً دعائياً أو مديحَ دكتاتور ، وأقول يا للعهد الذي بيننا ويا للتعاليم الأدبية الصارمة.. وياللمكتبة العامة.. ويالالصحبة.. ويا لمقهى أبي أحمد.

أرسل إليّ الباقري أيّامَ حكم صدام رسائلَ من الناصرية ليؤكد لي بقاءه أميناً للتعاليم الصارمة ومفسراً لي بما كانت تسمح به ظروف الرقابة آنذاك ابتعاده عن جادة الدكتاتور وأدب مسابقاته ونقوده: "بيت الدعارة الذي يبيع فيه الأديب ضميره وشرفه"، ومؤكداً عزوفه عن الاشتراك في حفلاته. يقول في واحدة من رسائله إليّ أيّامَ ذاك الحكم:

"وصلت إلى يقين.. ولو أنني قد عرفته منذ زمن بعيد.. وهو أن الأديب الحقيقي وحيد كنجمة الصباح.. لا يأخذ من دنياه عشرَ ثمن عطائه الأدبي.

إني لم أتغير.. فأنا ذلك الانسان الذي يعطي بدون مقابل.. أؤمن أن الأدب كالماء والهواء والطعام للإنسان.. لايؤخذ شيء مقابله..

ومازلت أؤمن أن النقود غواية.. وهي الهاوية التي يسقط فيها الإنسان.. سواء أكان أديباً أم إنساناً عادياً.. ويفقد شرفه في حضيضها المظلم الوسخ..

وهي بيت الدعارة الذي يبيع فيه الأديب ضميره وشرفه.. وتتمزق رسالته الإنسانية في أفرشة غرف هذا البيت القذر.. والحقير.

لم أربح في حياتي الأدبية مالاً يكافيء جهدي في كتابة الأدب.. لم أربح سوى السمعة الطيبة واحترام الناس لي وحبهم الكبير..وهو التاج الذي أتمنى أن يكلل هامتي."

أمسية ملغاة

بين آذار ونيسان من العام الماضي زرت مدينتي الأمّ بعد غربةٍ طويلة فقرر أدباء المدينة إقامة أمسية لي واقترحوا أحمد الباقري مقدماً لها فأجابهم في ذلك المقهى الجديد الذي شهدنا فيه تراشقاً بالنيران بين قوات الحلفاء وجيش إمامنا المنتظر:

"طبعاً أنا أقدمه.. فأنا أعرفه منذ كان عمره أربعة عشر عاماً".. وقهقهنا كلنا. ولم تُقَم الأمسية.. بسبب المعارك.

وغادرت المدينةَ فالبلدَ وأنا أفكر في تقديمه الذي لم يلقه والذي رهما كنت أعرفه عن ظهر قلب منذ تلك التعاليم الأدبية الصارمة. وقبل تسعة شهور أبرقَ أحمد إليّ روايته الجديدة "ممر إلى الضفة الأخرى" وعليها إهداء مؤثر، يقول لي في بعضه: "أحبكَ أكثرَ مما أحبُّ أخيّ". قرأته وأخذت أبكي.

البارحة هتفت إليه في الناصرية.. فكان هو يتكلم وكانت الدموع تترقرق في عينيّ متذكراً تعاليم ذلك المقهى وتلك الصحبة وقوله لي في تلك الرسالة:

"إن الشعر عذاب لذيذ. إنه وثيقة زواج مع العالم وتصفية حساب مع سكانه ومع النفس.

أليس كذلك يا كمال؟ أم يكن ما كتبته من شعر في رحلة حياتك هو الكنز الذي بحث عنه السندباد البحريّ؟ وهو الجزة الذهبية التي بحث عنها يوليسيس؟ وهو عشبة الخلود التي سعى للعثور عليها جلجامش؟"

نعم يا أحمد الغشيم في الحياة، أيها المعلّم.

هذه الكتابة تحية لك من صديقك الغشيم في الحياة أيضاً.

وتحية لتلك المدينة التي غادرتُها شاباً للدراسة فالخدمةِ العسكرية الإلزامية فالهربِ من العراق.

شيء عن أحمد الباقري:

ولد في العام 1941 في الناصرية.

درس في مدارسها الابتدائية والمتوسطة والإعدادية ثم درس في معهد الفنون الجميلة ـ قسم الرسم في بغداد وتخرج فيه في العام 1962 - 1963.

نشر أول قصة قصيرة بعنوان "اللصان" في مجلة الآداب اللبنانية 1962.

نشر أول قصيدة نثر بعنوان "نداءات" في مجلة الكلمة النجفية 1967.

نشر كتاباً مترجماً عن الشعر الفرنسي في القرن العشرين بعنوان "رصيف سوق الأزهار" في العام 1971، احتوى على تقديم شعراء داخليٍّ، كتبه الشاعر الشهيد خالد الأمين.

نشر ترجمة للمسرحيات التالية في مجلة الثقافة الأجنبية العراقية:

1. الزنوج ـ جان جنيه.
2. الموسيقى ـ مرغريت دورا.
3. العبد ـ ليروي جونز.

نشر ترجمات لقصص من تأليف كتاب كبار مثل وليم فولكنر، ترومان كابوت مرغريت دورا، ميشيل بوتور، وليم بورو وغيرهم.

ترجم رواية ملك الذباب قبل أن يفوز كاتبها غولدينغ بجائزة نوبل، ولم يحظ على موافقة نشرها.

كتب دراسات نقدية عن مجاميع قصصية وشعرية عديدة لكل الأجيال.

نشر عدداً من القصص القصيرة في الصحف والمجلات العراقية والعربية.

كتب نقداً تشكيلياً عن معارض محلية وكتب نقداً مسرحياً عن عدد من المسرحيات في السبعينيات.

نشر نصاً مسرحياً واحداً من فصل واحد تحت عنوان "لا سفر في الليل" في مجلة الآداب اللبنانية عام 1967.

صدرت له عن دار قرطاس في الكويت رواية "ممر إلى الضفة الأخرى".

لديه ستة كتب مترجمة "أعرف أسماءها كلها" بين رواية ومجموعة قصصية وشعرية لم تطبع بعد.

ثمة آخرون من أجيال سابقة كانوا بقوا في المدينة مثل الراحل فاضل السيد مهدي"من رواد قصيدة النثر في العراق" والراحل عبد الرحمن الرضا والراحل صربي حامد والراحل عزران البدري والراحل جميل حيدر والراحل الشهيد خالد الأمين والراحل مهدي السماوي والراحل عبد الجبار العبودي وبلقيس نعمة العزيز وناهض فليح الخياط.

هولندا
شتاء 2005

أحمد الباقري الصدى والصوت في ذاكرة المدينة

نعيم عبد مهلهل

مات احمد الباقري سليل حلم الكتابة السومرية، عراب التراجم المدهشة. يرحل بسفينة الصمت حاملا حزن عينيه وفطرة قلبه وحنانه الكبير للنشيء الجديد. وداعا صديق الجميع والمعلم الذي تعلمت منه النصائح البيضاء.

وداعا رفيق ظل الحلم في بيت سيد محمد الباقري واتحاد الأدباء ومقهى مسلم.

لم يبق منك سوى الدمعة واستذكار عنك كتبته قبل سنوات في كتاب وجوه في مرايا الناصرية أقول فيه:

هذا رجل عرفته الناصرية جيدا، كبير في أبداعه وأخلاقه، منذ صباه وهو يضع جمالية النص، نثرا كان ام شعرا أم ترجمة في كل جيوب ملابسه، لم يتخلف يوما عن ملامسة أجفانه لكتاب، ولم يتقاعس يوما في ابداء ملاحظة او نصيحة لأي مبتدأ في الكتابة جاء اليه يطلب ارشادا .

أحمد محمد الباقري (1941) ذاكرة طيبة سكنتها أحلامه التي انتجها كتبا وذكريات، وهو المنتمي الى عائلة أصيلة شكل حضورها في بيتهم العريق وسط شارع الحبوبي حضورا ثقافيا وروحيا عندما كان ديوان والده المرحوم السيد محمد الباقري يشكل محطة التقاء ثقافي ومعرفي للكثير من عوائل المدينة وما يميز هذا الديوان انه في فصل الربيع والصيف يكون فوق السطح.

عرفت احمد الباقري منذ طفولتي والمتخرج من معهد الفنون الجميلة عام 1962.

عندما كنت في المتوسطة اتواجد مع أخيه المرحوم حسن سيد محمد حيث تربطني به وبرياض الدجيلي صداقة العمر بكل ابتساماته ودموعه، وهناك التقيت الباقري ووضعت عيوني على عناوين اغلفه كتب مكتبته الغنية بكل المعارف، وفي الثالث متوسط اهداني اول كتاب يهدى الي في حياتي ،وهو ترجماته الرائعة للشعر الفرنسي عن طريق الإنكليزية في كتابه الشهير رصيف سوق الازهار (1970) والذي كتب مقدمته الشاعر الشهيد خالد الأمين.

واعتقد ان هذا الكتاب الذي ترجم فيه مقاطع من ملحمة الشاعر الفرنسي سان جون بيرس (آناباز) هو من الهمني لكتابة اول دراسة أدبية في حياتي وانا في الثالث المتوسط وكانت بعنوان "الصورة الشعرية في عالم سان جون بيرس"، واعطيتها إلى أخيه المرحوم حسن ليقدمها إلى الباقري، لأنني كنت مرعوبا من تقديمها لها بنفسي، فلم يصدق ان صبيا بعمر 15 عام يكتب عن شاعر صعب ومثير مثل بيرس.

منذ ذلك الوقت وانا اعتبر الباقري المعلم والصديق ومرجعيتنا الأدبية التي نحتفي فيها في المناسباتنا الأدبية كقامة رائعة ومثمرة، ورما شكل هو والراحل الروائي محسن الخفاجي ثنائيا رائعا في انتاج الكثير من التراجم والابداعات ومنها كتابهم المشترك (سماء مفتوحة الى الابد). وشاركهم في كتابته الراحل عبد الجبار العبودي.

احمد الباقري الذي صمدت روحه ضد كل المحن والمتغيرات، يمثل اليوم واحدا من شمعدانات الادب السومري المضيئة في تواريخنا وذكرياتنا، وحتى عندما سكنته علة القلب لم يفارق كتبه واحلام الكتابة لديه.

هو في حضوره بالرغم من بطيء حركته يمثل توهج المكان وعطره واصالته، لتحسه مرتفعا في مودة الحب الى مدينته واجيالها الأدبية كما ترتفع زقورة أور في سماء احلامنا السومرية. بعد هذا السرد لذكريات قريبة وبعيدة تهطل دمعتي لتغسل عنك وحشة النعش ايها السومري الطيب.

أحمد الباقري.. الانحياز إلى الفكرة والمكان

علي الفواز

استعيد دائما احمد الباقري، لأنه يُشعرني بصدقِ الفكرةِ الثقافية، وعمقِ الانتماء لها، فهو إبنٌ مخلصٌ للمكان، - المكانُ بوصفه مجالا ثقافيا- ولقيمِ المثقفِ الشمولي، الذي تشتبكُ عند اشتغالاتِه الثقافيةِ فاعلياتُ القاصِ والمترجمِ وصانعِ الرؤيا، وهذة "التشبيكةُ" التي يُغذّي بعضُها البعض، ليستَ محكومةً بايديولوجيا معينة، بل بروحٍ ثقافيةٍ عاليةٍ، وبطاقةٍ توليديةٍ لا تبدو متنافرةٍ، بل تدخل في سياقِ "التعاضد التفكّري، والتأويلي" إذ هو يثق بالافكار التي تتحرك، والافكار التي لها فائض في المعنى كما يسميها ريكور، مثلما هو اكثر انحيازا لروح المكان، حيث الاسرار والوجود والذات، لذا اجده مُؤوّلا من اجله، مثلما هو مُعانِدٌ في الدفاع عنه ، وعن فكرته، ومن اجل ان يكون جزءا من مشروعه الثقافي، لذا هو عميق في أنسنة مكانه في الناصرية، وفي تحويل تفاصيله ويومياته وافكاره الى فواعل تدخل في المعرفي، وفي حيوية ما تصنعه العلاقة مع الآخر..

الباقري لا ينتمي الى جيلٍ محدد، ولا الى ادلجةٍ فاضحةٍ او صارخةٍ، بل هو الأكثر انتماءً للانسان، بوصفه خالقا وفاعلا ومُحركا، وهذا ما جعله اكثر حيوية في التحوّل داخل مساحاته الثقافية، وأكثر تنظيما لأفكاره، ولهوية المثقف التي يحملها، التي لا تجعله مسكونا بعقدة الصيانة الايديولوجية، ولا بعقدة المسحور بالعالم، فهو الرائي المتعالي له، والشاغل والمُرمم ب"وعي شقي" لخراباته، بوصف الافكار وتداولها قرينة بالحرية الخلّاقة، إذ هي وسائط وادوات لتجديد اليات النظر الى ذلك العالم، والمساعدة في تأهيل اللغة للاشباع الرمزي والاستعاري وحتى الترجمي.

لروحه الرحمة والسلام..

كان عميقًا في أنسنة مكانه في الناصرية، وفي تحويل تفاصيله ويومياته وافكاره إلى فواعل تدخل في المعرفي، وفي حيوية ما تصنعه العلاقة مع الآخر.

وكانت وزارة الثقافة والسياحة والآثار قد نعت رحيل الأديب والمترجم أحمد الباقري، وقال الوزير ـ آنذاك ـ حسن ناظم في تصريح صحفي:

ان الراحل يعد واحداً من أهم المترجمين، والكتّاب في العراق والوطن العربي، ونقل إلى العربية عدداً من الترجمات المتفرّدة في المسرح، والأدب العالمي كمؤلفات جان جنيه، ومارغريت دورا ووليم فوكنر، وميشيل بوتور وترومان كابوت، ووليم بورو وغيرها، وعُرفت عنه مبدئيته العالية وتفاؤله بولادة جيلٍ أدبيٍّ جديد.

يُذكر أن الراحل احمد الباقري من مواليد الناصرية عام 1941، تخرج من معهد الفنون الجميلة قسم الرسم ببغداد سنة 1963، وكتب القصة القصيرة والرواية والشعر والنقد الادبي وترجم العديد من الروايات والمسرحيات لكتاب عالميين منها مسرحيات "الزنوج" لجان جينيه و"الموسيقى" لمارغريت دورا، و"العيد" ليروي جونز.

الجريمة الأمريكية المنسية بحق الجنود العراقيين

كيف دُفن 60 ألف جندي عراقي وهم أحياء؟

في العام 1991، قُدمت عمليتا "درع الصحراء" و"عاصفة الصحراء"، اللتان نُفذتا في العراق تحت راية الأمم المتحدة، من قبل جيوش إحدى وعشرين دولة، على أنها "حرب نظيفة"، من دون وقوع إصابات بشرية. اليوم، عدنا من هذه الصور إلى النقطة التي نتحدث فيها عن "متلازمة حرب الخليج" لتحديد مجموعة من الأمراض والمآسي الإنسانية المرتبطة بهذه الحرب.

برونو روشيت

ترجمة: الطريق الثقافي

أما بالنسبة للأسلحة الجديدة؛ القنابل الانفجارية، القنابل العنقودية الخارقة، ذخائر اليورانيوم المنضب، التي يعدها البعض كارثة بيئية وإنسانية. فلا يزال سكان المنطقة، لاسيّما الشعب العراقي، يعانون من آثارها.

في فرنسا، حافظت مصادر المعلومات على أكبر قدر من السرية بشأن هذه الأسئلة. لكن في الآونة الأخيرة، ارتفعت الأصوات محاولة كسر الصمت حول هذه الحرب النظيفة القذرة، التي لا تستمر فقط في القتل، حتى بعد أكثر من عشرين سنة، ولكنها ستحصد المزيد من الضحايا بعد انتهاء القتال أكثر من تلك التي وقعت خلالها.

الوثائق العسكرية الأمريكية والفرنسية الرسمية والدراسات العلمية وشهادات الجنود والتقارير غير المنشورة تجعل هذا التحقيق وثيقة حصرية وصادقة بشكل لافت للنظر.

حرب الخليج لا تتوقف أبدا عن قتل الناس. بأعداد كبيرة، ليس فقط العراقيين، فقد كان جنود التحالف يراوغون منذ عودتهم من مسرح العمليات. في وقت مبكر من يونيو 1993 ذكرت المجلة الطبية البريطانية: "شيء ما جعل جنود حرب الخليج مرضى. من بين 600000 جندي أمريكي أُرسلوا إلى الشرق الأوسط لمحاربة صدام حسين، أُحيل أكثر من 54000 بالفعل إلى معاشات العجز، وتوفي أكثر من 1600.. "تقدم المؤلفة العديد من الشهادات من قدامى المحاربين، الأمريكيين والفرنسيين الذين قاتلوا في الخليج. قد يتعرض البعض للتلوث النشط باليورانيوم المنضب من الأسلحة والذخيرة المستخدمة في معسكرهم. البحوث التي تجريها مختبرات مستقلة، بشأن الأصول متعددة العوامل للأمراض المعلنة رسميًا "غير منسوبة إلى الخدمة".

الحرب نفسها، حرب العام 1991 خلفت تقديرات بين 100،000 و200،000 قتيل من الجانب العراقي، مقابل 192 على جانب قوات التحالف!. الأرقام لا تتوقف عند هذا الحد. فقد كان هناك قصف كانون الأول/ ديسمبر 1998، بأمر من الرئيس كلينتون، وأخيرًا، هناك نفايات "الفضلات" متعددة الأشكال المشعة والسمية الكيميائية المتبقية على الأرض، بما في ذلك ما لا يقل عن 40 طناً من حطام اليورانيوم المستنفد، مما يشكل خطراً دائماً على البيئة وعلى الناس. فقد قال جورج بوش مهددًا قبيل بدء حربه: "سنعيد العراق إلى العصر الحجري".

المجزرة الصحراوية، دفنوا أحياءً

تقول الشاعرة الامريكية جنيفر ميدن إنه دائما من سوء الحظ تذكر مأساة دفن الجنود العراقيين أحياء بواسطة كاساحات رمل غمرت ملاجئهم بالتراب والذهول والصمت في العام 1991.

" لقد دفنا الحرب.

إنها دائما مسألة جندي واحد في الرمال، كان ينام على بطنه،

لم يصدق أين هو

عندما رأى دبابة بحجم الولايات المتحدة التي يحب أفلامها، وفيها ما يزال ابن عمه يعيش، تجثم فوقه وتأخذ هواءه، وتملأ رئتيه بالتراب".

جنيفر أمريكية تتوجع من جريمة دفن جنود عراقيين. 60 الف ضحية.

لأن الضمير الحيّ اليقظ، هو فارق الانسان عن الوحش البشري المقنّع.

جنيفر ليست الشاعرة الوحيدة التي أدانت الجريمة، بل هناك شعراء وشاعرات في أمريكا والغرب أدانوها، نحن لا نُقتل برصاصهم، بل بسخف تفكيرنا وحماقة معايرنا وموت ذاكرتنا، كيف يحترمنا العالم اذا كنا لا نحترم أنفسنا؟

لا أحد في العراق تحدث عن ذلك، لهذ السبب أفرطوا في قتلنا.

لماذا تقيم الدول والشعوب النصب التذكارية في الشوارع والساحات العامة لضحايا الحروب؟

لكي لا تنسى، لا تصفح، لا تتكرر، وتردع، جعل القتلة أحياءً في الذاكرة.

حين سُئل يوما ديك جيني، وكان وزيرا للدفاع، عن مبرر هذه الجريمة، جريمة دفن آلاف الجنود العراقيين أحياء في خنادقهم، من دون قتال، وبعضهم أعلن استسلامه، وكان ذلك، وهنا الجريمة الأكبر، بعد قرار وقف إطلاق النار، أجاب هذا الوزير:

" نعم، لقد حصل ذلك.

لكن تصوروا ماذا كان سيفعل هؤلاء لو ظلوا على قيد الحياة؟".

تفاصيل الجريمة

دفن الجنود العراقيين أحياءً في حرب الكويت (1991) بواسطة كاسحات رمل من مسافة نصف كيلومتر، هي الجريمة الثانية في التاريخ ، بعد جريمة النازيين الذين قاموا بدفن الجنود السوفيت أحياء. تلك الجريمة الأولى عُدت جريمة حرب كبرى، وحُوكم مرتكبيها في محاكم نورنبيرغ الشهيرة التي خُصصت لقادة وضباط النظام النازي.

تلك الجريمة المنسية أو المخفية من ذاكرتنا، موثقة في كتاب الكاتبة الفرنسية كريستين عبد الكريم ديلان نقلاً عن وثائق وشهادات ضباط أمريكان بالأسماء الحقيقية والتواريخ،

إنّ جريمة بحجم دفن 60 الف ضحية أحياءً لم يسمع بها أحد، أمر صادم لا يقل غرابةً عن الجريمة ذاتها!

مع شهادات صحف: واشنطن بوست وهارل تربيون الأمريكيتين، وصحيفة الغارديان البريطانية، وكل ذلك تحت عنوان: "دفن جنود عراقيين أحياءً".

تقول الكاتبة كريستين:

"يوم 17 كانون الثاني/ يناير 1991 في الساعة الثالثة صباحا، تحت لافتة عاصفة الصحراء التي بدأت بإطلاق مائة صاروخ توماهوك من قطع البحرية الأمريكية الراسية في مياه الخليج. ومنذ الساعات الأولى من القصف الجوي، دُمرت 90 % من محطات الطاقة الكهربائية، وأربع محطات كبرى لضخ المياه، من مجموع سبع محطات كان يمتلكها العراق، كما تعرضت أغلب حقول النفط ومخازن الوقود ومراكز التموين الغذائي والمواقع المدنية من مساكن ومدارس ومستشفيات ومراكز اتصال وغيرها، إلى عمليات قصف مسترسل".

ولعل ذلك النص الأخير قد يجيب على سؤال: لماذا مشكلة الكهرباء لا تحل في العراق حتى الآن؟

إنّ ضرب الكهرباء هو بمثابة ضرب المستقبل، لأن الكهرباء ليست إضاءة فحسب، بل هي الجامعة والمستشفى ومراكز الابحاث والعلم والتواصل مع العلوم والمزاج والحالة النفسية، كما أنّ عرقلتها بطرق خفية وغامضة حتى اليوم، قرار سياسي امريكي.

لكن قبل ذلك، علينا الكفّ عن الخفة العقلية التي تقول: أنّ أهل مكة أدرى بشعابها! مكة اليوم ليست منعزلة في صحراء، فقد بات كل شيء مكشوفًا اليوم.

يقول الكولونيل مورنيو، قائد الكتيبة الثانية في "الفرقة الحمراء" المنفذة للجريمة النكراء حرفيًا:

"إن عملية الدفن التي تمت كانت عملية تكتيكية عسكرية دقيقة للقوات الأمريكية، ومن بين مخططي العملية كان هناك المهندس ستيفن هاوكيش في الفرقة الأولى الذي قام ببناء معسكر تدريبي في الأراضي السعودية من أجل تدريب وتعليم الجنود على عملية دفن الجنود أحياء في خنادقهم". إنّ جريمة بحجم دفن 60 الف ضحية أحياءً لم يسمع بها أحد، أمر صادم لا يقل غرابةً عن الجريمة ذاتها!

لقد تدربوا مسبقاً على جريمة الدفن، أي مع سبق الإصرار. بمعنى أدق: الإعدام المسبق.

في أي دولة في العالم ـ غير العراق ـ كان سيؤدي هذا الكشف الى ضجة وفضيحة وحملة كبرى ومطالبة بفتح تحقيق، لكننا مقبرة.

لذلك لن يتوقفوا عن القتل لانّهم بكل بساطة يعرفوننا جيدًا، أعني جيدًا بدقة مجهرية.

وعلى الرغم من أنّ عدد القتلى على طريق الموت الرابط بين منطقة في صفوان ومدينة البصرة بعد الانسحاب، بلغ 25 الف بعد قرار وقف اطلاق النار، إلّا أنّ مجموع ضحايا الغزو المشؤوم من العسكريين والمدنيين بلغ بحدود 250 ـ 300 الف، وقد تستر النظام آنذاك على الاعداد الحقيقية، وكذلك فعلت الولايات المتحدة والكونغرس الأمريكي، علمًا أنّ الصين ما زالت في مشكلة مستمرة مع اليابان حتى اليوم، وعلاقاتهما متوترة، وتطالب بالاعتراف والاعتذار والتعويض عن جريمة قتل أسرى صينيين حدثت قبل قرن من الزمان. أيضًا ما زالت الجزائر في صراع مع فرنسا حول قضية مشابهة، وتطالب أوروبا أن تعتذر عن جرائمها في دول كثيرة.

لكن لا أحد يعترف أو يعتذر لنا لأننا ببساطة لا ندري ولا نعرف وحتى لا نريد أن نعرف، مع ان الولايات المتحدة ما زالت تحتل العراق اليوم بـ 12 قاعدة عسكرية، مع هيمنة سياسية واحتلال مبرقع، وهذه الجرائم لا تسقط بتعاقب الزمن.

وفي تصريح للعقيد الامريكي انتوني مارينو، قائد الوحدة الثانية من الجيش الأميركي يقول:

"لقد قتلنا آلاف الجنود العراقيين، ورأينا الكثير من أذرع الجنود العراقيين الماسكة بالسلاح وهي تتململ تحت التراب، وأضاف، الكولونيل مورينو لصحيفة واشنطن بوست بوقاحة:

"بعد تنفيذ العملية ونظرا لبشاعة الموقف وللخشية من قدوم الصحفيين، فقد قمنا بعملية تسوية الرمال وتغطيتها بواسطة معدات وأجهزة حربية أخرى لإخفاء المجزرة وأي اثر لها".

جرائم لم تسقط بالتقادم

ومن جرائم الحرب التي لم تسقط بالتقادم، مجزرة ماي لاي في العام 1968، في فيتنام التي ارتكبها جنود امريكان أثناء الحرب الفيتنامية وذهب ضحيتها 500 فردًا وقد هزت العالم في وقتها، بعد أن كشفها الصحافي سيمور هيرش مفجر فضيحة تفجير خط أنابيب نورد ستريم،و جريمة سجن أبو غريب، ومؤلف كتاب "القيادة الأمريكية العمياء" الحائز على جائزة البوليتزر لكشفه تلك المجزرة.

لقد تعرضت صحف "التايمز" البريطانية و"مانفستو" الإيطالية وصحف أمريكية شهيرة أخرى مثل "الهيرال تريبون" و"واشنطن بوست"،

للجريمة بعناوين متقاربة في وقتها، بما يوفر وثائق قانونية لا تقبل الدحض.

لكن للأسف لم تتطرق أيّة صحيفة عراقية للجريمة المذكورة، لا في الأمس ولا اليوم، ولم يرد أي ذكر لها في الأدب والفن والرواية، على الرغم من أن الروائي الكولومبي الشهير غابريل غارسيا ماركيز كتب روايته الشهيرة "مائة عام من العزلة" عن مقتل عمال الموز في أحد الإضرابات، وهم أقل من الثلاثين ضحية، وحاز جائزة نوبل بسببها، في الوقت الذي كان فيه صبيًا عندما حدثت المذبحة.

الكتاب: حرب الخليج.. الحرب النظيفة القذرة The GULF WAR THE DARTY CLEAN WAR

تأليف: كريستين عبد الكريم ديلان

الغلاف: ورق مقوى عادي

تاريخ إصدار الطبعة الأولى 2001

الناشر: لو شيرش ميدي ـ كول

عدد الصفحات: 224

واحدة من دبابات أبرامز الأمريكية المزودة بالمحاريث لسفي الرمال على الخنادق.

تبريرات القوات الأمريكية لارتكاب جريمة الدفن

إريك شميت

ترجمة: الطريق الثقافي

أكد قادة الجيش الأمريكي في العام 1993، إن قواتهم دفنت عشرات الآلاف من الجنود العراقيين في خنادقهم وهم أحياء في الساعات الأولى من الهجوم البري (للحلفاء) الذي أنهى حرب الخليج. ووقعت الجريمة أثناء العملية العسكرية التي فتحت فيها الدبابات الأمريكية M1-A1 التابعة لفرقة المشاة الأولى، الممرات على امتداد 10 أميال من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام والمخابئ والخنادق قرب الحدود العراقية السعودية في 24 شباط/ فبراير. مع بدء الهجوم البري للحلفاء.

وقال مسؤولون في الجيش إن الجنود العراقيين الذين لقوا حتفهم بقوا في خنادقهم حيث ألقت دبابات أبرامز المجهزة بالمحاريث أطنانًا من التراب والرمل فوقهم، لملء الخنادق وضمان عدم إمكانية استخدامها كغطاء لإطلاق النّار على وحدات (الحلفاء) التي كانت مهيأة للهجوم، وتجنب القتال اليدوي.

وقالت مصادر موثقة في البنتاغون أن الجيش ـ الأمريكي ـ كان يعلم أن العملية ستقتل المئات من الجنود العراقيين الذين لم يستسلموا أو يبتعدوا عن الخطوط الأمامية بأي طريقة أخرى، لكنّه قال إن هذا التكتيك أنقذ حياة الجنود الأمريكيين الذين كانوا سيضطرون إلى ترك عرباتهم المدرعة والترجل لمحاربة القوات العراقية بالأسلحة البيضاء في الخنادق.

وقال الكولونيل لون ماجارت: "لدى الناس بطريقة ما، فكرة أن دفن الرجال أحياء هو أكثر شرًا من تفجيرهم بقنابل يدوية أو غرس الحراب في أحشائهم". "حسنًا. إنه ليس كذلك".

وفي مؤتمر صحفي، دافع المتحدث باسم البنتاغون آنذاك، بيت ويليامز، عن هذا التكتيك، وقال "إنّه لا ينتهك اتفاقيات جنيف بشأن إدارة الحرب". وأضاف: "لا أقصد أن أكون متهورًا، لكن لا توجد طريقة لطيفة لقتل شخص ما في الحرب".

ويبدو أن الكشف عن مدافن الجنود العراقيين المغدورين في وقت لاحق من العام 1995، قد أجبر البنتاغون على تقديم تفاصيل بشأن الخسائر التي تكبدها الجيش العراقي على أيدي القوات الأمريكية.

ونفى مسؤولو الجيش بشدة أي محاولات لإخفاء عملية الاختراق، وأشاروا إلى أن كبار القادة أجروا مقابلات مكثفة بشأن المناورة بعد الحرب.

وعلى الرغم من وجود مراسلين صحفيين في برك القتال مصاحبين لفرقة المشاة الأولى أثناء عملية الاختراق، إلّا أنّ أحدًا منهم لم يذكر أي شيء عن تقارير دفن الجنود الأحياء. وفي الواقع، أشارت بعض التقارير إلى أن عددًا قليلاً من القتلى العراقيين شوهدوا في المخابئ والخنادق.

جانب من إسطنبول الغربية.

القهوة السادة وموسيقى الجاز والعيش في الروايات

مكتبات إسطنبول.. خيال المدينة البيزنطي

الطريق الثقافي ـ من نرمين أتاي

هناك عدد قليل من المدن في العالم التي كُتبت فيها عدد لا يحصى من الروايات والدراسات والقصائد والمذكرات. لطالما كانت اسطنبول واحدة من تلك المدن القليلة التي غيرت تاريخ البشرية بواسطة كيانها (جوهرها) متعدد الثقافات وموقعها الجغرافي الاستراتيجي. تنفرد اسطنبول بكونها المدينة الوحيدة في العالم التي أقيمت على قارتين مع بحر يخترقها عبر مضيق طبيعي.

سألنا الكتاب في تركيا سؤالين: ما هو الكتاب المتاح باللغة الإنكليزية والذي يستحضر اسطنبول بشكل أفضل؟ وما هي المكتبة المفضلة في إسطنبول؟

بوكيت أوزنر:
مدينة بين قارتين

اخترت اسطنبول لأورهان باموق: الذكريات والمدينة، حيث يرسم الصور الشعرية للمدينة من خلال ذكرياته الشخصية وعواطفه في سيرة ذاتية حيّة شجاعة وأدبية. يتحدث عن اسطنبول التي عاش فيها طفولته في الشوارع الخلفية والممرات المائية وكأنه راوي القصص الخيالية. يروي باموق حكايات كل من الكاتبين الإسطنبوليين تانيبنار ويحيى كمال، بالإضافة إلى أولئك الذين عاشوا في إسطنبول مثل فلوبير ونيرفال ولورد بايرون وأميسيس وكفافي مع حزن (هوزون) على الجنّة المفقودة.

يفهم القارئ على الفور أن إسطنبول هي بيت باموق وقلب خياله.

لدي العديد من المكتبات المفضلة في اسطنبول. كما تعلم، تقع اسطنبول في قارتين، لذلك اخترت مكتبتين، واحدة من كل منهما. مكتبة مينوا (شيشلي، على الجانب الأوروبي) هي مكتبة مستقلة فيها مجموعة واسعة من الكتب باللغتين الإنكليزية والتركية. يحتوي المقهى الخاص بها على كعكات لذيذة وقهوة جيدة. مكتبة Penguen Suadiye، على الجانب الآسيوي هي مكتبة من خمسة طوابق تقدم كتبًا مختلفة في كل طابق جنبًا إلى جنب مع مقهى مريح.

إيركوت توكمان
المدينة كرواية غير مكتوبة

نظرًا لوقوعها في نهاية شارع الاستقلال في منطقة نفق بوينلو، تُعد مكتبة "كوهين سيستر ثالث أقدم مكتبة في المدينة، فكلما مررت من هناك، أجدها منتصبة بشموخ. لقد كانت بمثابة ممر لذكريات بالنسبة لي. تقع في ممر قديم وتاريخي مظلل تحتله العديد من المقاهي الساحرة التي تواجه محطة غلاطة تونيل التي تعد ثاني أقدم نظام مترو أنفاق مائل (مترو بعد لندن). فور خروجك من المحطة، تواجه الباب الحديدي الضخم والرائع للممر والمحطة الأخيرة للترام القديم.

كان أصحاب المكتبة شقيقتين من اليهود السفارديم: مازالتو كوهين وإليسا كوهين بنزمرا. أقاموها في حديقة القنصلية السويدية لبيع كتب التمريض والأزياء؛ لكن لاحقًا، عندما انتقلت المكتبة إلى منطقة نارمانلي هان Narmanlı Han، صاروا يعرضون مجموعة واسعة من الكتب القديمة والجديدة من مختلف الأنواع والموضوعات. لقد التقيت بالمالك من الجيل الثالث لعائلتهم، أنّه ابن ابن عمهم، ألبرت سابان، الذي ورث المكتبة مؤخرًا من صموئيل سابان. على الرغم من أن الإطارات الخشبية المهترئة في المكتبة تعطي انطباعًا بالإهمال، إلا أنها تعكس مثالاً لروح الأقليات المهجورة في إسطنبول. مع قلة عدد العملاء بالداخل، خاصة اليوم، يقاوم المتجر المكتبات الحديثة بالقرب من محطة الترام، وكأنها تُركت وحدها في نهاية ممر تفوح منه رائحة الكتب القديمة. غالبًا ما تكون طاولتان قديمتان مستديرتان مع زوج من الكراسي فارغين عندما أكون هناك. يواجهون الدرج المؤدي إلى الأرضية المعلقة للمكتبة التي تخزن الكتب بكثرة فوق منطقة المطبخ. لقد بحثت هنا عن كتب قديمة وبعض الكتب الجديدة، وأتساءل دائمًا عن أبطال العصور الأخرى الذين سيزورون المكتبة وكأنهم خرجوا من رواية غير مكتوبة عن اسطنبول. فوق متحف البراءة لأورهان باموق أو شقة أحمد حمدي تانبينار، اخترت مكتبة فاتح حربية الذي يقع بالقرب من محطة الترام القديمة في حي تونيل. تجسد تلك المكتبة الروح الشرقية وتقاليد اسطنبول، إلى جانب أفكار ورؤية وأسلوب حياة اسطنبول الغربية الحديثة. وبالمثل، بين منطقتي المدينة، الشرقية والغربية، يستدير الترام القديم ـ كما يفعل أبطال الروايات، الذين يسافرون ذهابًا وإيابًا ـ تمامًا مثل المدينة على الجانبين، الشرقي والغربي. أشعر كأنني بطل في هذه المدينة، كما لو كنت أعيش حياتي في رواية غير مكتوبة عن اسطنبول، وأعتقد بقوة أن هؤلاء الأبطال كان ينبغي أن يكونوا في مكتبة كوهين سيسترز، مثلي اليوم تمامًا.

مكتبة بنكوين في الجانب الشرقي من مدينة إسطنبول

مات أ. هانسون
مدينة بيزنطية

مقهى مينوا الأدبي، صعودًا من أرصفة بشيكتاش، يقوم بتحديث رفوفه بخيال معاصر جديد باللغة الإنجليزية. مخزونها مليء بشكل خاص بالكتب الفنية والإصدارات الخاصة، كبيرة الحجم وكتب الطهي. يقدمون واحدة من أفضل فطائر جوزلمه اللذيذة في تركيا ويستضيفون حفلات موسيقى الجاز الحميمة على خلفية مريحة من الروايات المستعملة.

تعريفات:

• بوكيت أوزنر عالمة أحياء ومدربة في العلوم البيئية. مؤلفة روايات وقصص قصيرة وكتب الرحلات، الجزء الرابع والأخير من رباعيتها الطبيعية، "النار"، نُشر في كانون الثاني/ يناير 2023.

• الشاعر التركي والمترجم والفنان البصري/ الأدائي إركوت توكمان عضو في جمعية حبر للكتّاب المنفيين، بالإضافة إلى جمعية القلم التركية والإيطالية. وهو مؤلف خمس مجموعات شعرية. حاصل على جائزة وزارة الثقافة.

• مات هانسون صحفي ومحرر في اسطنبول. يراجع الروايات التركية المعاصرة ويترجم الأدب العالمي ويكتب في العديد من المجلات الأدبية العالمية مثل آرت نت نيوز وآرت آسيا باسفيك والعديد من المنافذ الأخرى في الفن والأدب والتاريخ والسياسة.

بوكيت أوزنر

ليلى إربيل

مكتبة رمزي في الجنب الغربي من إسطنبول

تقلبات المدينة في أحضان التاريخ

"بغداد مدينة السلام ومدينة الدّم" زوبعة لا هوادة فيها من الطغيان

قراءة: مورين عباسي

ترجمة: سارة محمدي

صدر حديثًا عن منشورات نابو في بغداد كتاب مهم بعنوان "بغداد.. مدينة السلام ومدينة الدّم" للصحفي والمؤرخ وكاتب الرحلات البريطاني جاستن ماروزي، بترجمة غسان مازن. ويصف الكتاب برعب لا يمكن تصوره تاريخ المدينة النابض بالعنف والحياة.

ويُعد كتاب جاستن ماروزي الجديد أوّل كتاب باللغة الإنكليزية لبغداد منذ ما يقرب من 80 عامًا. التاريخ السابق كان يحمل العنوان الفرعي "مدينة السلام"، وهو علامة بدون أي إشارة إلى السخرية، إذ أخذ الاسم الذي عُرفت به المدينة تاريخيًا من سكانها الأوائل. أما العنوان الفرعي الإضافي لماروزي ـ مدينة الدّم ـ فهو موجود خصيصًا لمنعنا التثاؤب والشعور بالملل، وأيضًا لتقديم صورة أكثر تقريبًا لما سيأتي. لأن ما ينبثق عن هذا الكتاب المثير للإعجاب هو أنه مهما كانت بغداد على الدوام مدينة سلام ومحبة، فهي أيضًا مدينة سفك دماء وشجاعة.

على مدى ثلاثة عشر قرنًا، تمتعت بغداد بتفوق ثقافي وتجاري، حيث تفتخر بالتطور الفني والفكري والاقتصاد الذي كان يحسدها عليه العالم في يوم من الأيام.

هنا، في زمن الخلفاء، جرت أحداث ألف ليلة وليلة. لكن مع ذلك، كانت أيضًا مدينة مصاعب كبيرة، تعاني من الأوبئة والمجاعات والفيضانات والعديد من الغزوات الأجنبية التي جلبت إراقة دماء مروعة. هذا هو تاريخ رواة حكواتها وطغاة فلاسفتها وغزواتها.

هنا، في أوّل تاريخ جديد لبغداد منذ ما يقرب من 80 عامًا، يعيد جاستن ماروزي الحياة إلى التاريخ الصاخب بأكمله لما كان يومًا ما أعظم عاصمة على وجه الأرض.

قصة بغداد مليئة بالدمار والموت والقتل والاغتصاب والنهب والحرب الطائفية. لكنّها أيضًا قصة المقاومة والشجاعة والقدرة على النهوض من الرماد والغبار مرّة أخرى. بدأت مع سقوط الخلافة الأموية، مع الخليفة العباسي الجديد، أبو جعفر المنصور، الذي كان بحاجة إلى عاصمة جديدة. لا أحد يترك الأشياء لمرؤوسيه أو للصدفة، وفي العام 762، اختار بنفسه المكان لعاصمته الجديدة الكبرى: بالقرب من نهر دجلة. قرار استراتيجي بسبب إمكانيات طريق التجارة الكبير وقربه من المياه.

نمت بغداد بسرعة ـ في الواقع بمعدل ملحوظ. إنه أمر لا يصدق إلى حد ما أنه تم تأسيسها في العام 762، وأصبح هارون الرشيد خليفة فقط في العام 786 ـ ويعتبر هذا ذروة تاريخ البغدادي: العصر الذهبي للإسلام.

يقول المؤلف: "كانت مهنة هارون مذهلة: زوبعة لا هوادة فيها من إراقة الدماء والغزو والحج والإنجاب والعلوم والمِنَح الدراسية والمباني الفخمة في بغداد والإنفاق على نطاق إمبراطوري لا يتكرر أبدًا. تمامًا كما زين تيمورلنك عاصمته سمرقند بثمار فتوحاته، لذلك أنفق هارون المال على المجد الأعظم لمدينة السلام.

إن الإسراف الوحشي لهارون معروف وموثق على نطاق واسع. ومع ذلك، لم يكن هذا الحاكم المبذر من دون اهتمام بمستقبل بغداد وإمبراطوريتها. وحسب الطبري، فقد ترك الخزينة بـ 900 مليون درهم".

في العصر العباسي، كانت بغداد مركز العلم والفن والأدب. يشار إليها باسم "روما الشرق"، كانت مكانًا يُعامل فيه الشعراء كنجوم موسيقى الروك في العصر الحديث؛ كانت موطنًا لما أُطلق عليه اسم "أول مشروع علمي واسع النطاق ممول من الدولة في العالم"، في ما كان فيها أول مرصد إسلامي؛ وفيها بيت الحكمة. وفيها محمد بن موسى الخوارزمي، الذي ورث كتابه "خلاصة الحساب عن طريق الإصلاح والموازنة" مصطلح الجبر الرهيب، آفة أيّام الدراسة للأطفال لأكثر من ألف عام، وكان أيضًا بمثابة قناة رئيسة لمرور الأرقام العربية إلى غرب العصور الوسطى الغارق في الظلمات".

كما كتب ماروزي يقول، من البديهي القول إن بغداد كانت، في القرنين الثامن والتاسع، ذروة الحضارة الإنسانية في أي مكان في العالم.

لكن بغداد مدينة عانت أيضًا منذ نشأتها. المجاعة والفيضانات والحروب والحصار والإقالات والقادة المجانين. لقد كان نهر دجلة مقبرة جماعية عملاقة: قام المغول بتلوينه باللون الأسود بالحبر، بعد إلقاء جميع الكتب التي عثروا عليها فيه في العام 1258، وقام تيمورلنك بتلوين النهر باللون الأحمر بإلقاء آلاف الجثث فيه، بعد فترة ليست طويلة.

منذ البداية، "كان الرجال الأقوياء جزءًا لا مفر منه من قصة المدينة. كل الخلفاء العباسيين الأقوياء، والغزاة المغول، وزعماء القبائل التركمانية، والشاهات الإيرانيون، والسلاطين العثمانيون والباشوات، والمماليك والأغاوات والإنكشاريون ـ جميعهم جعلوا أنفسهم سادة مدينة السلام بواسطة إراقة الدّماء على نطاق واسع.

وإذا كانت كتابة السيرة الذاتية لشخص واحد هي عمل صعب، فأنّ كتابة "سيرة" مدينة بأكملها مهمة ضخمة وغاية في الصعوبة.

يحتوي الكتاب على حوالي 40 صفحة من الملاحظات والكثير من التفسيرات. ولعل صعوبة قراءة مثل هذا الكتاب، تتجسد في أنّ هناك الكثير من الأسماء التي يستحيل تتبعها، والكثير من الخلفاء والقادة، والكثير من الأشخاص المهمين، والعديد من أسماء الأماكن، والعديد من القصص والحقائق الرائعة. إذا لم تنتبه، فسيفرتك الكثير.

مع ذلك، هذا كتاب ممتاز. أشعر أنني تعلمت الكثير. إن حالة بغداد الحالية معروفة لمعظمنا، لكن تاريخها ليس معروفًا جيدًا.

إنّها قصة رائعة، أوصي بشدة الجميع بالتعرف عليها. فالكتاب فرصة رائعة للبدء من نقطة ما.

جاستن ماروزي

رواية جديدة لهاروكي موراكامي من دار الآداب

تصدر قريبًا عن دار الآداب البيروتية رواية "تسوكورو تازاري عديم اللون وسنوات حجه" للكاتب الياباني هاروكي موراكامي، وتتضمن قصة خمسة أصدقاء في المدرسة الثانوية. وتشاء الصدفة أن تشير أسماؤهم جميعها إلى لون من الألوان. فالأول أكاماتسو (الصنوبر الأحمر)، الثاني أومي (البحر الأزرق) والثالثة شيران (الجذر الأبيض)، والرابعة كورونو (الحقل الأسود). وحده تسوكورو تازاكي الذي ليس في اسمه نصيب من اللون. ويحدث أن يقرر الأصدقاء على حين غرة قطع صلتهم بتسوكورو تازاكي نهائيا. فيهيم في حياته، وهو يحمل وزرا لا يعرفه.

الرواية بترجمة أحمد حسن المعيني.

رواية "دون كيخوته دي لامانشيا" بترجمة جديدة

تصدر قريبًا عن المركز القومي للترجمة في القاهرة ترجمة لرواية "دون كيخوته دي لا مانشيا"، للكاتب الإسباني ميغيل دي ثربانتس، بترجمة عبير عبدالحافظ، كأول امرأة تترجم هذا العمل الخالد، الذي يعده الكثيرون أفضل رواية في التاريخ. وطبقًا لتولستوى، فأنه لو طُلب من سكان كوكبنا تقديم المبرر لحق الاستمتاع بهذا الكوكب، لقدموا كتاب دون كيخوته، قائلين هذا يكفي. المهم أن هذه الرواية بالنسبة للقارئ ساعات من المتعة والضحك، مع تسرب خلاصة الحكمة.

رواية "الرجل الذي أفسد هادليبرغ" لمارك توين

تصدر قريبا عن دار يسطرون في جدة، رواية قصيرة بعنوان "الرجل الذي أفسد هادليبرغ"، للكاتب الأميركي الكلاسيكي مارك توين. ترجمها عن الإنكليزية جورج نبيل. وهي رواية قصيرة ظهرت لأوّل مرّة في العام 1899، وتتناول الرواية قصة مدينة اكتسبت سمعة بأنها غير قابلة للفساد. سكانها مدربون على تجنب الإغراء. يسعى شخص غريب يشعر بالإهانة إلى الانتقام من سكان البلدة، ويبدأ في إغرائهم بعملات ذهبية مقابل عمل لطيف يُفترض أنه منسي. بعد تلقي معلومات مجهولة المصدر من الشخص الغريب، يطالب 19 من أبرز الأزواج في المدينة بالمكافأة بحجج كاذبة، ويصبح خداعهم واضحًا في اجتماع عام، ويخجلون علنًا. يلاحظ الغريب أن سكان البلدة كانوا في الواقع أسهل من المعتاد للوقوع في الفساد، لأن عزمهم لم يُختبر أبدًا. وهكذت تُدمر سمعة المدينة.

اليساري اللاتيني في المختبر الكوبي

عالم خوليو كورتازار الرائع

تأليف: توماس ماسكولو

عرض: الطريق الثقافي

إنّه كتاب فردي مفرط. إنها قصة خوليو كورتازار الشخصية قبل كل شيء، وقصة بعض الذين يدورون حوله، منغمسين مع أنفسهم، وبشعورهم ووعيهم التاريخي؛ مشاكل البرجوازية الصغيرة هي محور حياته، وعلى الرغم من أنّها، بالطبع، مشاكل مهمة لأن الأفراد هم أفراد في أي مجتمع، لن يخطئ الكتاب بالانفتاح على التاريخ.

يقول المؤلف: "هذه مرحلة لم أعبرها بعد، وأعتقد أنّني قد أخبرتك بالفعل وفق أي ظرف كتب خوليو كورتازار روايته "الحجلة" Hopscotch.

طفولة

في سن السادسة، تخلى عنه والده وأخته وأمه، التي كانت تعرف الإنكليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية، كانت مسؤولة عن المنزل وتربية أطفالها بمفردها. قال كورتازار نفسه إنه نشأ في عالم متماسك وبورجوازي مفتول العضلات في الأرجنتين في عشرينيات القرن الماضي.

"لقد كنت محظوظًا، لأنه إذا استمرت الأسرة، دعنا نقول، في الظروف التي كنا فيها عندما عمل والدي في السلك الدبلوماسي، فمن المحتمل أنهم يرسلوني إلى المدارس الإنكليزية أو الألمانية أو الفرنسية مدفوعة الأجرك ، حيث كانوا سيشوهونني أكثر بكثير مما كنت عليه في المدارس العامة حيث نشأت في صحبة زملائي الذين كانوا أناسًا متواضعين جدًا، وفقراء جدًا، أطفال عمال، أطفال موظفين صغار"، كما قال ذلك في مقابلة أجراها معه راديو هافانا كوبا. بالإضافة إلى وضوح ذلك في العديد من قصصه.

عندما وصلت حكومة بيرون الأولى، قرر مغادرة الأرجنتين والسفر إلى أوروبا، حيث كانت هناك العديد من التساؤلات والطروحات النقدية بشأن مواقفه السياسية وميوله اليسارية ونزعته الإنسانية وميله للعمال والبسطاء والفقراء، الأمر الذي لم كن مرحبًا به في أوروبا التي كانت تفترض ـ آنذاك ـ بانتماء الكتّاب والمثقفين إلى الطبقة الإرستقراطية حصرًا. لكنه على الرغم من ذلك، لم يقدم أية تنازلات تُذكر، أو يجامل مستقبليه والمحتفين به، لقد كانت موقفه واضحا دائما.

مراحل تاريخية

يقسم كورتازار تجربته وعمله في الفترات الزمنية المتعاقبة لحياته ككاتب، إلى ثلاث مراحل: جمالية وميتافيزيقية وتاريخية.

ولعلنا نركز هنا على الفترة التاريخية التي تميزت ك في عمل كورتازار بتسييسه ككاتب، وخلفية الثورة الكوبية وتأثيرها الساحق على وعيه وتجربته. إذ يؤكد أنه "في العام 1961، وقع حدث مهم للغاية في حياتي: لقد قمت بأول رحلة إلى كوبا، وتواصلت هناك مع العالم الكوبي، مع الثورة الكوبية، وقد قلت ذلك مرات عديدة، لكني أحب أن أكرر ذلك ـ لقد كان المُحفّز، والمُحفّز الذي أظهر لي إلى أي مدى كنت أمريكيا لاتينيًا، وإلى أي مدى كنت أرجنتينيًا، وهو شيء كنت أجاهله، أو أتجاهله لسنوات عديدة. أستطيع أن أقول إن الثورة الكوبية أوصلتني إلى التاريخ".

أثناء تلك الزيارة، التقى شخصيًا أيضاً بخوسيه ليزاما ليما، الذي كان يتراسل معه منذ العام 1957.

منع كتبه من التداول

لقد منعت آخر ديكتاتورية عسكرية أرجنتينية كتب الكاتب من العرض والتداول. وبحسب وكالة ديبا الصحفية، فقد عُثر على ملف الكاتب الأمني الشخصي من بين 217 ألف ملف شخصي آخر لمثقفين أرجنتينيين في أرشيف مديرية مخابرات شرطة مقاطعة بيونس أيريس، التي قررت التحقيق في خلفية كورتازار اليسارية في تلك السنوات، حسبما قالت مديرة برنامج أبحاث المفوضية، سامانتا سلفاتوري.

أيضًا في العام 1974، طالب مع كتّاب آخرين، مثل بورخيس وبيوي كاساريس وأوكتافيو باز، الإفراج عن خوان كارلوس أونيتي، الذي أُعتقل لإصراه على تقديم المحاضرات والتحريض على النظام العسكري في الجامعة. بالإضافة إلى مطالبته بإطلاق سراح الحارس الشخصي لنيلسون مارا، الذي أدى اعتقاله إلى عواقب وخيمة.

ومن رسالته إلى خوان كارلوس اونيتي، التي كتبها في باريس في 12 يناير 1980، نقتبس الآتي: "عزيزي اونيتي.. مرة أخرى وجدت كل شيء في كتابك الجديد، كل ما يجعلك مختلفًا وفريدًا بيننا. العجب العظيم هو أن لم الشمل لا يعني أدنى تكرار أو أقل رتابة. قد يبدو من المستحيل تقريبًا بعد التشبع الذي تتركه كتبك السابقة في الذاكرة، لكن الأمر كذلك: كل شيء جديد مرة أخرى تحت الشمس، على الرغم من سفر الجامعة القديم.

مع عدد قليل من الكتّاب يحدث لي. قرأتها حتى نقطة معينة ثم أفكر، "يا رفاق، استمروا في العمل بمفردكم، لقد حشرت نفسي في الزاوية. يحدث مرة أخرى أنك كتبت كتابًا رائعًا، وما بدا أنه غير قابل للتكرار، ها أنت تعيده من جديد كمعجزة متكررة. عليك اللعنة. من أية طبنة خلقت يا اونيتي؟

على أي حال، سوف أُبشّر بكتابك المذهل كثيرًا في شوارع باريس، وأمل أن أفعل ذلك، في وقت ما، في بوينس آيرس".

لقد كانت نصوصه مصحوبة بالأصوات الصاخبة والموسيقى، فقد كان من المعجبين بشيت بيكر ولويس أرمسترونج. تتخلل موسيقى الجاز جميع أعماله، حيث يكون هذا ملحوظًا بالفعل في أغلبها.

الشيء الاستثنائي حقًا في خوليو هو قلمه. ووفقا له، "أسلوبه لا يحدده القاموس". كان يعتقد أنه إذا كان لديه ما يقوله، فإنه يريد أن يقوله كما هو بالضبط، وإذا لم يكن كذلك، فلا ينبغي له أن يقوله.

أصدر كورتازار أكثر من 62 كتابًا، لكن أهمها ما نشره بدءًا من اعلام العام 1973، بعد أن أصدر كتاب "مانويل". وفي العقد التالي، نشر "الهزاز". لكن كتابه الأكثر شهرة هو "نهاية اللعبة" التي نُشرت في العام 1956، وبعد ذلك بعامين، نشر "الأسلحة السريّة"، وفي العام 1966 نشر "أشعلت النيران كلها".

أما نثره القصير فتلخص في "قصص كرونوبيوس الشهير" و"حكايات لوكاس" التي نشرها في العام 1979.

كتاب "النص واللانص"..

المداخل المعرفية والهويات الثقافية

الطريق الثقافي

للنص واللانص أهمية كبيرة في مجال الدراسات اللسانية، فقد حظي النص باهتمام الدارسين المحدثين من الغربيين والعرب، فشغل مساحات واسعة في دراساتهم وبحوثهم، كونه موضوعًا خصبًا يقدم إضافات جديدة عبر حقول معرفية مختلفة، وعبر الهويات الثقافية والاجتماعية والمهنية والدينية والمذهبية.

ويحفل بعدد من الوظائف, كالوظيفة التواصلية والحجاجية والجمالية والثقافية والأخلاقية... وإننا عندما نتكلم عن النص فإننا نفترض وجود اللانص الذي عُنيت به دراسات كثيرة لتحديد الكلام الذي ينتمي إلى اللانص كالكلام الهرائي والكلام المهمل... وتحديد الفرق بين النص واللانص وفقًا لمحددات متعددة, وهناك كثير من الإبداعات اللفظية العربية التي تنتمي إلى (النص) قد أُهملت وأُبعدت عن ساحة الاهتمام في الثقافة العربية في كثير من الموروث الأدبي والنقدي والبلاغي والفقهي, وأُخرجت من دائرة (النص) لتدخل في خانة (اللانص), لكن تلك الإبداعات والنصوص العريقة التي تتدفق حكمة وموعظة وتواصلًا فعالًا, كالكلام الشفاهي والسيرة الشعبية والحكاية الشعبية, بقيت تدافع عن نفسها ـ عبر الزمن ـ واستردت ما سُلب منها من مؤهلات نصية وقيم جمالية ومعرفية, لتتحول من اللانص إلى النص.

وهناك النص المختص (المخصوص) الذي يقع في دائرة التداول المحدود والاستعمال الضيق, المقيد بإطار مكاني وزماني, وبنوع الشخصيات التي يدور بينها وتوزعته: اللغة المنزلية أو اللغة الخاصة بمهنة أو فئة اجتماعية, والكلام المحرم (المحظور اللغوي) ولغة الجسد.

يذكر أن الكتاب سيصدر عن دار شهريار للنشر والتوزيع في البصرة, وهو من تأليف أ. د. هاتف بريهي الثويني.

النص واللانص
المداخل المعرفية والهويات الثقافية والاجتماعية

كتاب "جواد سليم.. الوجه الآخر" عن نصب الحريَّة وثورة 14 تموز

الطريق الثقافي ـ وكالات

صدر حديثا عن دار خطوط وظلال للنشر في عمّان كتاب للشاعر والفنان التشكيلي العراقي شاكر لعيبي، بعنوان "جواد سليم.. الوجه الآخر"، عن الرسام والنحات العراقي الخالد مصمم نصب الحرية في بغداد. يقول الشاعر والفنان العراقي العراقي شاكر لعيبي في مقدمته لكتابه: لن يضيف المرء شيئًا جديدًا عن فنان جوهري في تاريخ العراق التشكيلي، جواد سليم، وأهميته الفائقة وتنقيباته الشخصية التي طوّر فيها لغة وأسلوبا ونكهة يتعرف عليها المرء من النظرة الأولى، وقد ألقت بظلالها على مجايليه ومن جاء بعده. وهو أسلوب درس مرات عديدة، ولم يكن من مهمة هذا البحث الوجه الآخر للإنسان جواد، بعظمته وترددداته وهفواته. كما يحاول الكتاب تفحص عمل نصب الحريَّة من زاويتين: الأولى، من وجهة نظر المؤلف، عجالة تنفيذه في محاولة للتزامن مع الاحتفال بثورة 14 تموز الخالدة، والثاني تأثره الكبير بجدارية الرسام والنحات الإسباني الكبير بابلو بيكاسو "الغورنيكا".

صدور كتاب "وحل ونجوم.. رحلات عبر روسيا مع بوشكين وتولستوي"

الطريق الثقافي ـ خاص

صدر حديثًا عن منشورات سنان في الرياض كتاب "وحل ونجوم.. رحلات عبر روسيا مع بوشكين وتولستوي وآخرين"، لسارة ويلر، وهو أحد أفضل كتب السفر والرحلات لهذا العام. تبحث سارة بواسطته عن روسيا التي ليست في الأخبار، وتسافر من حقول البنجر الشمالية الغربية في الشرق الأقصى، إلى مرجل القوميات والأديان واللغات في القوقاز. متجاوزة المدن الكبرى قدر الإمكان، تذهب بدلاً من ذلك إلى الأماكن المرتبطة بسادة الأدب في البلاد، حيث ترينا ملكية تري جورسكوي "التلال الثلاثة" الأسطورية التي كان بوشكين يتردد عليها أثناء منفاه، والمحفوظة الآن تكريما له، ونبحث عن دوستويفسكي على طول مياه بحيرة إيلمن، موقع المنزل الوحيد الذي امتلكه الكاتب المضطرب على الإطلاق.

نظرية إرنست ماندل عن "الرأسمالية المتأخرة"

في نظريته بشأن "الرأسمالية المتأخرة"، حاول المفكر والمنظر الماركسي البلجيكي إرنست ماندل تقديم تفسير ماركسي "لأسباب الموجة الطويلة للنمو السريع التي أعقبت الحرب". ووفقًا لانظريته، كان لهذه الفترة من النمو أيضًا "حدود متأصلة" ضمنت أنها ستفسح المجال أمام "موجة طويلة أخرى من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية المتزايدة للرأسمالية العالمية، والتي تتميز بمعدل نمو إجمالي أقل بكثير". لقد تنبأ بشكل صحيح بنهاية طفرة ما بعد الحرب في منتصف السبعينيات. واعتبر ماندل أن المعدلات المتزايدة للابتكار التكنولوجي هي إحدى خصائص الرأسمالية المتأخرة.وسيؤدي هذا إلى تقصير العمر الافتراضي لرأس المال الثابت والتسبب بانهيارات متتالية، مثل انهيار وول ستريت في العام 1929. كما لاحظ ماندل في العام 1964: "إن كل محاولة من قبل الرأسمالية للتغلب على تناقضاتها ستتسبب لها بمشاكل جديدة".

بحوث جدلية في كتب

من الإغريق إلى العرب

المخطوطات العربية والسريانية

تأليف: هانز دايبر

مجموعة من ستة مجلدات تضم كتابات دايبر المتناثرة ومقالاته الصحفية ومداخلاته الموسوعية عن الترجمات اليونانية والسريانية والعربية وتاريخ العلم. يلقي الكتاب ضوءًا جديدًا على العديد من الجوانب بدءًا من عصر ما قبل سقراط اليوناني إلى الفيلسوف الماليزي نقيب العطاس. ويبدو أن الهدف الرئيس الذي سعى إليه الكاتب بواسطة كتابه هذا هو محاولة تفسير النصوص والمخطوطات المكتشفة حديثًا، بالإضافة إلى القديمة التي تعود لقرون مضت، وخاصة العربية منها، في جميع المجالات. وتتوزع المجلدات على موضوعات: اليونان - سيرياكا وأراميكا، تاريخ العلوم، المخطوطات أساس المعرفة والعلم، تاريخ الانضباط.

الرقم الدولي: ISBN: 978-90-04-44250-4
السعر: 119.90 يورو
الغلاف: ورق مقوى عادي
الناشر: بريل

الترجمة والدولة

في محكمة المغول

تحرير: مايكل ويليس

في العام 1587، أكمل أبو الفضل بن مبارك ـ الذي كان مفضّلًا لدى البلاط المغولي ومؤلف كتاب "أكبرنا" ـ تمهيد للترجمة العربية والفارسية لكتاب "المخابراتا"، المهم الذي يبحث في ظاهرة التخابر والتراسل وتبادل المعلومات الإدارية والعسكرية لدى مملكة المغول. ويعد هذا الكتاب أوّل دراسة تفصيلية لمقدمة أبي الفضل بن مبارك، إذ يقدم نظرة ثاقبة لممارسات المخطوطات في البلاط المغولي، والدور الذي كانت تلعبه في ترسيخ أسس الدولة وتنظيمات الجيوش وتراتبيتها والتفاعلات السياسية التي ميزت أنظمة الحكم في كل من منغوليا والهند في القرن السادس عشر.

الرقم الدولي: ISBN: 9783110501216
الغلاف: مجلد
السعر: 94.95 يورو
الناشر: دي جروتر
عدد الصفحات: 265

altareek althakafi
الطريق الثقافي
No. 126
28 آب/ أغسطس 2023 28 August
24
مدير التحرير
محمد حيّاوي
m.shather@gmail.com
www.tareekthakafi.com
مسجلة بدار الكتب والوثائق بالرقم 2632 لسنة 2023
التصميم Sillat Media

نصب تخليد شهداء انتفاضة هايماركت في مقبرة فورست بارك في شيكاغو.

نصب شهداء قضية "هايماركت" من العمال

تدوين اللحظة الخالدة وسطوة التاريخ

الطريق الثقافي

قضية "هايماركت"، المعروفة أيضًا باسم مصادمات هايماركت أو مذبحة "هايماركت"، هي مواجهة عنيفة بين الشرطة والعمال المحتجين، حدثت في شيكاغو في الرابع من آيار/ مايو العام 1886، والتي أصبحت رمزًا للنضال الدولي من أجل حقوق العمال، وارتبطت بيوم العمال العالمي في الأوّل من آيار (1 مايو)، منذ اختيار ذلك اليوم كيوم العمال العالمي من قبل الأممية الثانية في العام 1889.

لقد قُتل في ذلك اليوم وجُرح العشرات، في أعقاب التدخل القمعي العنيف لرجال الشرطة، لحماية مفسدي الإضراب وترهيب المضربين، أثناء تحرك نقابي في شركة ماكورميك لآلات الحصاد، الذي كان جزءًا من حملة وطنية لتحديد يوم العمل بثماني ساعات. وبالنظر لعنف رجال الشرطة، فقد دعا قادة العمال إلى اجتماع جماهيري في اليوم التالي في ساحة هايماركت. وأعلن عمدة شيكاغو ـ آنذاك ـ كارتر هاريسون، الذي حضر الاجتماع، أن هذا التجمع سلمي وللعمال الحق في التعبير عن آرائهم، لكن بمجرد مغادرة هاريسون، وصلت فرقة من الشرطة وطالبت الحشد بالتفرق. وفي تلك المرحلة، ألقى شخص لم يتم التعرف عليه بشكل مؤكد قنبلة، وردت الشرطة بإطلاق النار بشكل عشوائي، فقُتل سبعة من ضباط الشرطة وأصيب ستون آخرون، قبل توقف أعمال العنف. وقُدرت الخسائر في صفوف المدنيين بالعشرات. لقد خلفت قضية "هايماركت" هستيريا واسعة النطاق موجهة ضد المهاجرين والقادة العماليين. ووسط حالة الذعر، أدين أوغست سبايز وسبعة عمال آخرين بالقتل على أساس أنّهم تآمروا مع مهاجم مجهول أو ساعدوه. ومع ذلك، لم يتم إثبات تورطهم المزعوم على الإطلاق. وقد شُنق المتهمون في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1887، وانتحر متهم آخر.

لقد كان لقضية "هايماركت" تأثير دائم على الحركة العمالية في الولايات المتحدة. وتمكنت المنظمات العمالية لاحقًا من فرض الثماني ساعات ليوم العمل. كما ألهمت مأساة "هايماركت" أجيالاً من القادة العماليين، والناشطين اليساريين، والفنانين، وتم إحياء ذكراها في النُصب والجداريات والملصقات في جميع أنحاء العالم، وخاصة في أوروبا وأمريكا اللاتينية. وفي العام 1893 أُزيح الستار عن النصب التذكاري لشهداء هايماركت في مقبرة فورست بارك في شيكاغو. بينما جرى رفع تمثال مخصص لضباط الشرطة القتلى، كان قد وُضع في ساحة هايماركت في العام 1889، بعد أن تعرض بشكل متكرر للتدمير على أيدي العمل اليساريين ومؤيديهم. بينما أقيم تمثال جديد لأحياء ذكرى شهداء العمال في ساحة هايماركت، موقع المصادمات، وسط احتفال شعبي كبير في العام 2004.

ومن الكلمات الأخيرة التي قالها الشهيد ألبرت بارسونز المدان في قضية "هايماركت" لزوجته: "زوجتي الحبيبة، لقد حُكمنا هذا الصباح بالإعدام، وأنّه حُكم سيفرح قلوب الطغاة في جميع أنحاء العالم، لكن العمال والمناضلين اليساريين الشرفاء سيخلدون ذكرانا من شيكاغو حتى سانت بطرسبرغ.

إن حكمنا بالموت ينبئ بسقوط الكراهية والحقد والرياء والقتل القضائي والظلم، وسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان. سيحطم مضطهدو الأرض قيودهم. وستستيقظ الجماهير من سباتها، لتكسر أغلالها الصغيرة مثل القصب في الزوبعة".

الشهيد العمالي ألبرت بارسونز (1854 - 1887)

الانتباه للتفاصيل

لقد شغل الكثير مما نفعله ونشعر به ونخافه الفنانين لقرون عدّة. فرسموا ومحوا وخبأوا.

في المعنى

محمد حيّاوي

"قبر الغريبة" والجنود العراقيين المغدورين

أذكر أنّني عندما كنتُ طفلًا، كنت أجوب البراري عند تخوم مدينة الناصرية، بعيدًا عن الطريق الرابط بين المدينة والبصرة، وأذكر عندما كانت أنصال الشمس الحارقة تنغرز في (يافوخنا) ونشعر بالعطش، نلجأ إلى "قبر الغريبة"، حيث سقيفة سقيمة يرقد تحتها قبر وحيد مكعب الشكل، محفور على أحد جوانبه صليب، فنشرب من الكوز (الحِب) الصغير ونروي عطشنا ونسكب الماء على رقابنا المعروقة ثم نواصل رحلتنا العابثة وسط البراري.

عندما كبرت، تقصيت قصة "قبر الغريبة" تلك، ولِم هو متروك وحده في الصحراء، فاتضح أنه يعود لشابة بولندية عشقت أحد مهندسي البناء العراقيين، عندما كان يدرس في بولونيا، وبعد أن انهى الأخير دراسته وعاد إلى العراق وبدأ العمل في تشييد الطريق البري الرابط بين الناصرية والبصرة، التحقت به، وكان يقيم في تلك المنطقة بمساكن خشبية مؤقته، وبعد أن تنعم العاشقان بأيّام من السعادة، لم تستطع الشابة الغريبة تحمل الحر اللاهب، فأصيبت بالتايفوئيد وماتت في غضون أيّام، ولم يكن لدى الشاب مال كاف لإعادتها إلى بلدها، فقرر هو ورفاقة دفنها في ذلك المكان.

قصة شهيدة الحب البولونية هذه، ذكرتني بقصة الجنود العراقيين المغدورين الستين ألف الذي طمرهم الأمريكان في صحراء عرعر بالرمل وهم أحياء، من دون أن يرف لهم ولا للنظام السابق المهزوم جفن، فطُمست قصتهم وضاعت حقيقتهم، كما ضاعت أحلامهم وتطلعاتهم وتبددت تهجداتهم الفتية في العثور على الحب، عندما يعودون إلى مدنهم. وحيدون ظلوا، في عمق الصحراء. لا أثر يدّل عليهم، ولا علامة، ولا نصب. لا ثبت بأسمائهم ولا معلومات تدوّن مصائرهم، ولا ناج منهم يُخبر خبرهم ويُحيي قصتهم.

في التحقيق المحزن والدامي الذي ننشره في هذا العدد، نحاول إعادة قصتهم إلى الأذهان وإيقاظ الذاكرة الممحية، لعل أحدًا ما، أو جهة ما، تدعي الانتصار للإنسان العراقي، تفتح ملفهم وتبحث في أسمائهم وتوثق مأساتهم، من بين عشرات الآلاف من الجنود العراقيين الذين فقدوا في تلك الحرب المشؤومة وظلوا معلقين بين الأرض والسماء، لاهم ذوو دلالة، ولا هم أحياء ناجون من الآتون.

هؤلاء الجنود الستون ألفًا، الضائعة قبورهم في الصحراء، بعد أن طمسها الأمريكان خوفًا من الفضيحة ومحاكم جرائم الحرب، وطمسها النظام خوفًا من ردّة فعل الناس عليه، سيبقون بمثابة ذكرى دامية، بعيدة، منسية، مثل قبر تلك الغريبة شهيدة الحب. إنّهم شهداء حب أيضًا في الحقيقة، وإن كانوا ضحية حرب. إنّهم يستحقون منا على الأقل سقيفة واهنة وكوز ماء صغير، يروي عروق حكايتهم وينث بردًا على أحلامهم الضائعة في هجير الصحراء.